القراءة الراشدة

لتعليم اللغة العربية في المدارس الإسلامية

الجزء الثالث

تأليف

أبوالحسن على الحسنى الندوى

ملتزم الطبع والنشر

مؤسسة الصحافة والنشر

ص ب ٩٣، ندوة العلماء لكناؤ

١٤٢٢هـ -٢٠٠٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحياة في مدينة الرسول ﷺ

ها هوذا قد أسفر النهار والناس راجعون من المسجد النبوي في سكينة ووقار ولكن في خفة ونشاط، وهنا دكان يفتح في السوق وهنالك سكة تمشي في الحقل، وهذا بستان من نخيل يسقى، وذلك أجير يشتغل في حائط على أجرة يأخذها في المساء، قد اندفعوا إلى أشغالهم بما سمعوا من فضيلة كسب الحلال وطلب مرضاة الله بالمال، تروتهم خفاف الأيدي في العمل، ذلل اللسان بذكر الله، عامري القلوب بالحسبة وطلب الأجر، يحتسبون في أشغالهم ما لا يحتسب المصلي اليوم في صلاته، مقبلين بقلوبهم إلى الله، وبقالبهم إلى شغلهم، وها هوذا قد أذن المؤذن فإذا بهم ينفضون أيديهم مما كانوا فيه كأن لم يكن لهم به عهد، وخف إلى المسجد ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكوة، يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾

وهـا هـوذا قـد قضـوا صلاتهـم وانتشـروا في الأرض يبتغون من فضل الله ويذكرون الله، وقد مالت الشمس إلى الغـروب فرجعـوا إلي بيوتهـم وقـابلوا أهلهـم وجلسـوا إليهـم يتحدثون معهم، يلاطفونهم ويؤنسونهم طمعـاً في أجـر من الله ورضـوان، ونـاموا بعـد صـلاة العشـاء، وإذا بهـم قـائمون أمام ربهم في الأسحـار، لهم دوي كدوي النحـل، وفي صدورهـم أزيز كأزيز المرجل، وينصرفون بعد صلاة الصبح إلى أشغالهم في نشاط الجندي وقوته كأن لم يتعبوا في النهـار ولم يسهروا في الليل.

انظـروا إلى مجـالس الذكـر والعلـم في المسـجد وقـد ضمت صنوفاً وأنواعاً من الناس، فهذا هو الفلاح الذي رأيتـه في النهـار في حقله، وهـذا هو الأجير الـذي رأيتـه ينـزع الـدلاء ويسقى النخيل في بستان يهودي، وهذا هو التاجر الذي رأيته في سوق المدينة يبيع، وهذا هو الصنـاع الذي وجدته مشتغلاً بصناعته، وليسوا الآن إلا طلبة علـم، وقـد هجـروا راحتهـم - وهم في حاجة إليها بعد شغل النهـار - وتركـوا أهلهم وهم في حنين إليهم لأنهم سمعوا أن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما صنع، ولأنهم سمعوا ﴿ لا يقعـد قـوم يذكـرون اللـه إلا حفتهـم الملائكـة وغشـيتهم الرحمـة ونزلـت عليهـم السكينة، وذكرهم الله فـي من عنـده ﴾ تراهم ساكتين كأن

على رؤسهم الطير، خاشعين كأن الوحي ينزل ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير﴾ يتسابق العلم والخشوع فلا يدرى أيهما أسبق، وتبتدر المعاني إلى القلوب، والكلمات إلى الآذان فلا يدرى أيهما أسرع.

وقد اتفق كثير من الناس على التناوب فإذا غاب أحدهم عن مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم حضر جاره أوأخوه فيخبر الأول بما دار في المجلس من حديث وما نزل من آية.

وهؤلاء هم القراء قد انقطعوا إلى العلم فإذا أقبل الليل انطلقوا إلى معلم لهم في المدينة فيدرسون الليل حتى يصبحوا، فإذا أصبحوا فمن كانت له قوة استعذب من الماء أوأصاب من الحطب، ومن كانت عنده سعة اجتمعوا فاشتروا الشاة وأصلحوها فيصبح ذلك معلقاً بحجر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وما من أحد في المدينة إلا ويعرف الحلال والحرام وما يتعلق بحياته وحرفته وشغله من الأحكام، ويحفظ من القرآن ما يقوم به في صلاته، ثم هومستمر في طلب العلم يزداد كل يوم فقهاً في الأحكام ورسوخاً في الدين وحرصاً على العمل وشوقاً إلى الآخرة ورغبة في الثواب، وعلمهم

بالفضائل أكثر من علمهم بالمسائل، وبأصول الدين أكثر من علمهم بفروعه، أبر الناس قلوباً وأعمقهم علماً وأقلهم تكلفاً .

وإذا تعلم أحد منهم شيئاً من الدين أسرع إلى إخوانه يعلمهم لأنه سمع " ألا فليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع " وسمعوا نبيهم يقول : " إنما بعثت معلماً " وسمعوه يقول : " لا حسد إلا في اثنين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته ورجل آتاه الله الحكمة فهويقضي بها ويعلمها، وهكذا انقسم المسلمون في المدينة بين طالب ومعلم، فإما طالب وإما معلم، بل كل واحد منهم طالب ومعلم في وقت واحد، يأخذ من مكان ويدفع إلى مكان .

هل عرف التاريخ مدرسة أوسع من هذه المدرسة النبوية التي يقرأ فيها التاجر والفلّاح والأجير والصناع والمحترف والمشغول والشباب الناهض، والشيخ الفاني ؟ يتعلمون فيها بجميع قواهم، فالأذن تسمع، والعين تبصر والقلب يشعر والعقل يفكر والجوارح تعمل.

عرفوا أحكام الاجتماع في الاجتماع وأحكام الاختلاط في الاختلاط وأحكام التجارة في التجارة وأحكام المعاشرة في المعاشرة فاستطاعوا أن يحافظوا على دينهم ونياتهم وخشوعهم وذكرهم في المجامع والمجالس وفي صخب الأسواق وفتنة البيوت، فإذا خاضوا في الحياة لم يغلبوا على

أمرهم، شأن الذي يتعلم السباحة في بحر متلاطم وفي نهر فياض، فكانوا في المسجد إذا خرجوا من المسجد وفي الصلاة إذا انصرفوا من الصلاة، بررة القلوب، صادقى الوعد، سديدى القول في المساجد والأسواق معاً، وفي المعتكف والحانوت معاً، وفي الحضر والسفر معاً، ومع الصديق والعدو معاً، حتى إذا نادى منادي الجهاد ﴿انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله﴾ وهتف هاتف الجنة ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض ﴾ أقفل التاجر دكانه وترك الفلاّح سكته ورمى الصناع آلاته، وترك الأجير رشاء دلوه، وخرجوا في سبيل الله لا يلوون على شيئ كأنهم كانوا من ذلك على ميعاد، وفي ديارهم وأهلهم على مسامحة ورخصة .

وترونهم يتجولون في البلاد ويسيحون في الأرض كأنهم خلقوا على ظهور الخيل وولدوا على متون الإبل، يعدون غدوة أوروحة في سبيل الله أفضل من الدنيا وما فيها، يصلون النهار بالليل والشتاء بالصيف، وهم أينما رحلوا ونزلوا مدارس سيارة ومساجد متنقلة، وهكذا نشروا الدين من أقصى الأرض إلى أقصاها ومن شرقها إلى غربها .

من رسالة " إلى ممثلى البلاد الإسلامية "

المنارة تتحدث

(١)

خرجت يوماً من مدينة دهلي أروح نفسي من صخب الأسواق وعناء الأشغال، وذهبت إلى منارة قطب الدين خارج دهلي .

ورأيت هذه المنارة الشامخة فإذا هي آية في الهندسة والبناء، مبنية من الحجارة الصلبة الحمراء تنطق بعظمة القدماء .

وبينما أنا أدور حول هذه المنارة بين قبور وقصور، وأفكر في ضعف الإنسان وقوة البنيان، إذا صوت يرن في أذني ويقول: " أيها الرجل ! اسمع ".

والتفت فلم أر أحداً وسرحت طرفي فإذا المكان هادئ وليس هنا داع، ولا مجيب، وليس هنا إلا الحجارة الصماء البكماء .

وإذا صوت يتردد " أيها الرجل اسمع " فأصغيت إلى هذا الصوت وقد دنوت من المنارة، فرأيت عجباً .

رأيت عجباً إذ سمعت المنارة تتكلم، فقلت لم أر كاليوم حجارة تنطق، ومنارة تتحدث !

وإذا صوت أجهر وأوضح من قبل، اسمع أيها الرجل ولا تخف فقد أنطقني الله الذي أنطق كل شيئ .

هنالك وقفت أستمع لهذا الصوت فإذا المنارة، تقول أنا واقفة هنا منذ أكثر من سبعة قرون لم أبرح مكاني ساعة ولم أغمض عيني طرفة، أشاهد تقلبات الزمان وتحول الملك والسلطان، كأني قطب يدور حولي رحى الحوادث .

وقد رأيت في هذه المدة من العجائب ما أضحكني قليلاً، ومن المحزنات ما أبكاني طويلاً، ولولا أن قلبي من حجر لانشق حزناً .

ولا أنكر أني رأيت في هذه المدة ملوكاً عادلين، ورجالاً من العلماء والصالحين، قرت بهم عيني وزالت بهم أحزاني .

وها أنا ذا أقص عليك خبري، وما جرى في هذه البلاد بين سمعي وبصري .

سمعت أن السلطان محمود الغزنوي هوالذي فتح هذه البلاد للإسلام ودوخها من الشمال إلى الجنوب وهزم

الأحزاب والجنود المجندة لملوك الهند فكان برهاناً على أن الإيمان يغلب العدد، وذلك في فجر القرن الخامس الهجري .

وبعد قرن ونصف غزا الهند السلطان شهاب الدين الغوري وهوالذي رسخت به قدم المسلمين في هذه البلاد وقامت لهم دولة مستقلة .

ولكن الذي فتح هذه البلاد في الحقيقة وأخضعها للإسلام هوالرجل الصالح الشيخ معين الدين الجشتي الذي اهتدى به إلى الإسلام ألوف من ا لمشركين وكان دعاؤه سلاحاً للغوري وجنة .

أنا أقول " سمعت " لأني لم أكن في تلك الأيام فأنا وليدة القرن السابع فقد بناني قطب الدين منارة لجامع "قوة الإسلام" وتم بنائي على يد شمس الدين وبقيت فريدة منذ ولدت .

ومن حسنات الإسلام أنه جعل العبيد سادة والمماليك ملوكاً، فقد خلف الغوري مملوكه قطب الدين وخلفه مملوكه شمس الدين، واستمرت دولة المماليك ٨٧ سنة جاء في خلالها ملوك يتجمل تاريخكم بهم كالقائد قطب الدين أيبك، والملك الصالح ناصر الدين محمود بن ألتمش والملك العادل غياث الدين بلبن .

وفي عصر السلطان شمس الدين كان في دهلي الشيخ الكبير قطب الدين بختيار الكعكي، وطالما رأيت السلطان شمس الدين يدخل عليه في الليل ويخدمه ويغمز رجليه ويبكى .

وانقرضت دولة سادتي المماليك، والأرض لله يورثها من يشاء، وجاء الخلج ورأيت من غرائب الإنسان، عماً كريماً يقتله ابن أخيه وختنه .

ولكن علاء الدين بعد ما قتل عمه جلال الدين ضبط البلاد، وسن القوانين وعيّن الأسعار وبسط الأمن وأوغل في الهند .

وقضى على الخلجيين بالزوال بعد ٣١ سنة، سنة الله في الأرض، وورثهم آل تغلق، وكان منهم ملك غريب الأخلاق أعني محمد تغلق، الملك العاقل المجنون الذي أراد أن يحول العاصمة إلى دولت آباد ولكن الله رحم وحشتى ولم يفلح الملك .

وخلفه شاب صالح من بيته اسمه فيروز الذي بنى المساجد والمدارس، وأنشأ الشوارع والرباطات، ورد المظالم .

وفي هذا العهد كان العبد الصالح الشيخ نظام الدين البدايوني، وكانت له زاوية عامرة يؤمها مآت من الطالبين

فكانت إمارة روحية في جنب إمارة مادية تفوقها في السلطان على القلوب .

حكم آل تغلق ١٣٥ سنة، مدة طويلة، ثم طوي بساطهم - والحكم لله - وآل الأمر إلى اللودهيين وكان أوسطهم سكندر اللودهي، وكان عادلاً فاضلاً يحب العلم والعلماء .

وفي هذا العهد ازدهرت مدينة جون فور وبلغت أوجها في عهد إبراهيم شاه الشرقي (٨٠٤- ٨٤٤) وكنت أسمع أحاديث ملكها وأخبار علمائها كملك العلماء القاضي شهاب الدين الدولت آبادي والشيخ أبي الفتح بن عبد المقتدر الدهلوي، وقصص جوامعها ومدارسها .

وازدهرت كذلك مدينة أحمد آباد وفاقت الهند بملوكها الراشدين وعلمائها المحدثين وبصنائعها وكثرة جنانها وحدائقها وحسن نظامها، وكنت أسمع أخبار محمود شاه وابنه مظفر شاه الحليم (٨٦٢- ٩٣٢) فكأني أسمع أخبار رجال خير القرون.

المنارة تتحدث

(٢)

وفي عهد إبراهيم اللودهي سنة ٩٣٣ جاء بابر وهو من آل تيمور من كابل وكسر جنود اللودهي وهي مأة ألف مقاتل في ساحة باني بت باثني عشر ألف مقاتل فكان برهاناً على أن العزيمة تغلب الكثرة، وأسس دولة المغول التي لها دوي في العالم وآثار خالدة في الهند .

وفي عهد ابنه همايون نهض شير شاه السوري فطارد همايون إلى إيران وأسس دولة منظمة لم تسبق، وعمل أعمالاً جليلة لو وزعت على عدة ملوك لوسعتهم فأنشأ شارعاً مسيرته أربعة أشهر وغرس عليه الأشجار، وبنى عليه المنازل والمساجد وذلك كله في خمس سنوات، ولا أزال أغبط "سهسرام " إذ كانت عاصمته ومدفنه، وهنا تخلفت دهلي وسبقتها مدينة صغيرة .

وخلف همايون الذي استرد ملكه بمساعدة شاه إيران ابنه الأمي أكبر وهو الذي مرق من الإسلام واخترع ديناً جديداً، وعاند المسلمين، وقد أنجاني الله من مصاحبته إذ اتخذ آكره عاصمته .

وخلفه ابنه جهانكير، وكان أفضل من أبيه ودون ابنه وحفيده، واضمحلت آثار أكبر في عهده .

وفي هذا العصر نهض المصلح الكبير الشيخ أحمد السرهندي المجدد (م ١٠٣٤هـ) فقلب التيار، وغير الله به الليل والنهار، وانتصر به الدين، وزالت به دولة المبتدعين .

وفي هذا العصر سعدت الهند أيضاً بوجود عالم كبير خدم علم الحديث وصنف، ودرس طويلاً وهو العلامة عبدالحق البخاري (م ١٠٥٢هـ) وأنا سعيد بأنه لا يزال في جواري .

وخلف جهانكير ابنه شاه جهان، وهو صاحب الآثار الجميلة في الهند، بنى جامعاً في دهلي من أجمل مساجد المسلمين في العالم، وبنى القلعة الحمراء وبنى على قبر زوجه التاج محل وهي الدرة اليتيمة في البناء،وما وددت أن أبرح من مكاني إلا لأراه، وخلف شاه جهان ابنه السلطان أورنك زيب عالمكير وهو رجل هذا البيت الرشيد، فأمر بتدوين الفقه وأبطل المكوس والمظالم عن المسلمين وضرب الجزية على المشركين ونصب المحتسبين وأقام دولة العلم والدين .

ومن سوء حظ المسلمين في هذه البلاد أن خلفاء أورنك زيب لم يكونوا رجالاً أكفاء في الدين والسياسة

فأصبحت السياسة هزلاً والدولة ألعوبة، ملوك يحكمون صباحاً ويقتلون مساءاً ويستبدلون كالخلقان من الثياب .

ولا أضيع وقتك الثمين في سرد أسمائهم الفارغة .

وهنا رأيت ما أبكاني، فقد فسدت أخلاق المسلمين في هذا العصر، فشا فيهم الفجور، وعمّت الخمور وكثرت الملاهي وأقبل الناس على اللهوواللعب والرقص والغناء، فكأنه لم يبعث نبي ولم ينزل كتاب، والناس في جاهلية .

وكنت أذكر قول الله تعالى ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمّرناها تدميراً﴾ وأخاف بطشه .

وفي عهد محمد شاه (م ١١٦١هـ) بلغ السيل الزبى وطم الوادي على القرى، فبعث الله على أهل دهلي عباداً لهم أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار.

جاء نادر شاه سنة ١١٥١هـ من إيران فوضع فيهم السيف، وبلغ القتلى من الهنديين في دهلي مأة ألف ونيفاً، وسالت بدمائهم الشوارع، ولم يغمد السيف إلا بعد ثلاثة أيام.

ولم يفق أهل دهلي والمسلمون من سكرتهم، فاجتمع عليهم المرهتة والسكه اجتماع الأكلة على القصعة، وفي كل يوم غارة ونهب، وسلب، وإهانة وجلاء، فخربت قرى كثيرة،

وهدمت مساجد ذكر فيها اسم الله كثيراً، وعجز المسلمون عن مقاومتهم ودخل في قلوبهم الجبن والخوف .

هنالك رحم الله هذه الأمة الهندية فبعث لها أحمد شاه الأبدالي من أفغانستان سنة ١١٧٤هـ فنازل المرهتة في ساحة باني بت، وقتل منهم نحومائتى ألف وهزمهم هزيمة لم تقم لهم بعدها قائمة .

وفي هذه الأيام العقيمة أنجبت دهلي رجلاً عظيماً وهوالشيخ ولي الله بن عبد الرحيم، فنادى بالمسلمين إلى الدين وانتقد الأمراء الجائرين والشيوخ المبتدعين، وخرج العلماء الراسخين والدعاة المخلصين، وصنف الكتب البديعة في علوم الدين .

وشمر هووأبناؤه النجباء الشيخ عبدالعزيز والشيخ رفيع الدين والشيخ عبد القادر وابن ابنه الشيخ إسماعيل -دفين بالاكوت- عن ساق الجد في خدمة الدين، فمن مترجم للقرآن، ومن شارح للحديث، ومن فقيه يضرب إليه أكباد الإبل، ومن مزك للنفوس، ومن مدرس للحديث الشريف، ومن مجاهد بالسيف وشهيد في سبيل الله، ومن مهاجر إلى بيت الله، والهند تباهي بهذا البيت الشريف الأقطار الأخرى وتنشد :

أولائك أبنائى فجئنى بمثلهم
إذا جمعتنا يا جرير المجامع

المنارة تتحدث

(٣)

أراك يا سيدى قد سئمت حديثي وطول القيام هنا فاصبر قليلاً لعلى أخفف عن نفسي بعض ما أجده من الحزن.

نسيت أن أذكر لك أن الإنكليز قد دخلوا في الهند في القرن السادس عشر المسيحي تجاراً وأسسوا شركة تجارية سموها الشركة الهندية الشرقية، وكانت بذرة فساد أغفلها الملوك المسلمون في بساطتهم وحسن ظنهم، وبقيت هذه الشركة تشتغل بالتجارة حتى اضطرب حبل الدولة المغولية فطمح رجالها إلى الملك والسياسة وصاروا يتدخلون في الأمور، ويحرشون بين الأمراء ويضربون بعضهم ببعض، وينتهزون فرصة بعد فرصة حتى أصبحوا قوة في الهند .

ولم يزل أمر الإنكليز يقوى وأمر الهنديين يضعف حتى أخذوا في الجنوب كرناتك وفي الشرق كلكتة، وذلك كله بمال الهند ورجالها، لم يبذلوا في سبيل ذلك درهماً ولا دماً من قبل أنفسهم .

وقد عني بأمر الإنكليز فتى شهم وهو النواب سراج الدولة أمير مرشد آباد، وكانت بينه وبين الإنكليز وقعة في بلاسي سنة ١١٧١هـ - ١٧٥٧م غدر فيها الوزير مير جعفر، وانسل إلى الإنكليز فانهزم سراج الدولة وانتقلت مقاطعة بنغال إلى الإنكليز.

واجتهد الأمراء مرة ثانية واجتمع مير قاسم ختن مير جعفر أمير مرشد آباد، وشاه عالم ملك دهلي والنواب شجاع الدولة أمير أوده بجنودهم الكثيفة وقاتلوا الإنكليز وهم أقل منهم عدداً، ولكن أحسن منهم نظاماً فانهزم الهنديون وانكسروا في ساحة بكسر سنة ١١٧٨هـ-١٧٦٤م، فكان برهاناً على أن النظام يغلب الزحام، وكانت للإنكليز اليد العليا والكلمة النافذة ما بين كلكتة ودهلي .

ثم قام الفتى الأبي الغيور السلطان تيبو أمير ميسور وقاتل الإنكليز قتالاً شديداً، وهزمه الإنكليز بقوة المسلمين والمرهتة سنة ١٢١٤هـ- ١٧٩٩م، وغدر الوزير مير صادق وانسل إلى الإنكليز، ومات السلطان الشهيد في ساحة القتال موت الأحرار الأبطال مدافعاً عن دينه ووطنه ..

وأراد الله أن يبتلي أهل الهند فمنحهم فرصة أخرى فنهضت عصابة من الشبان المخلصين يقودها فتى من أهل

بيت الرسول r قد جاء من الشرق،كنت أراه كثيراً في مدرسة الشيخ عبدالعزيز رحمة الله عليه ومسجد الشيخ عبدالقادر واشتهر سريعاً باسم السيد أحمد وتهافت عليه الناس من كل جانب، وبايعه محمد إسماعيل ابن أخي الشيخ عبد العزيز رحمه الله، وعبد الحق ختن الشيخ وعالم دهلي الكبير والعلماء والصلحاء، وطاف هؤلاء في البلدان والقرى وبثوا دعوة الرجوع إلى الدين والتمسك بالكتاب والسنة، وأشعلوا في الصدور شعلة الجهاد، واجتمع حولهم أناس هم خير من وقعت عليهم عيني ديناً وعبادة وخلقاً ومعاشرة، وغيرة وحماسة، فكانوا بالليل رهباناً، وبالنهار فرساناً، وفي الدين أبدالاً، وفي القوة أبطالاً .

وهاجر هؤلاء سنة ١٢٤١ إلى ثغور الهند ورفعوا راية الجهاد ضد السكه، وبايع الناس إمامهم السيد أحمد، وكانت الحرب بينهم وبين السكه سجالاً، وسمعت بعد قليل أنهم فتحوا أرضاً واسعة وأسسوا إمارة على منهاج الخلافة الراشدة ونفذوا فيها أحكام الشرع، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وفتحوا بشاور عاصمة الثغور فعظم شأنهم وكاتبوا أمير بخارا وجترال وأمراء أفغانستان، وكانوا يريدون أن يقيموا دولة شرعية مستقلة في الهند .

كنت أسمع ذلك كله والناس يفرحون وأنا أخاف لأني لم أكن آمن عليهم من المسلمين الغدر والخيانة، وهما من أمراض المسلمين، ولم تذهب دولتهم إلا بغدر المسلمين وخيانتهم ونفاقهم - وسامحني يا سيدي في هذا العتاب المرفلي العذر - وكنت أخاف ذلك خاصة في تلك البلاد، ولم تمض يا سيدي أيام قليلة حتى وقع ما كنت أحذره، فقد سمعت أنه غدر بهم الأمراء الأفغان وقتلوا نوابهم، وعمالهم سجداً وقياماً، وسمعت أنهم الآن في طريقهم إلى كشمير.

ثم سمعت بعد أيام أنهم دهمهم العدوفي وادي بالاكوت في جبال هزارا - وذلك بدسيسة بعض المسلمين أيضاً - وقتل أكثرهم ولم ينج منهم إلا القليل، وكانت هذه الحادثة الأليمة سنة ١٢٤٦هـ.

وهكذا ضاعت هذه الفرصة الثمينة ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وأعود إلى حديث الإنكليز وأقول إنهم اختلقوا ذنوباً على الأمراء كما سمعت في قصة الذئب والنعجة، وانتزعوا بنجاب والسنده، وبورما وأوده وامتلكوها.

وانتبه الهنديون من سباتهم واجتهدوا أن يتخلصوا من الإنكليز سنة ١٨٥٧ م.

فكانت ثورة كبيرة ولكن فشلت أيضاً بسوء نظام الهنديين.ورسخت قدم الإنكليز وعاقبوا الهنديين عقاباً شديداً، وعذبوهم عذاباً أليماً، وفتكوا بالبيت الملكي فتكاً شديداً، وأسروا بهادر شاه ونفوه إلى رنكون .

ومن ذلك اليوم أفل نجم المسلمين في هذه الديار، وانحطوا في الدنيا والدين، ورضوا بالذل والعبودية، وفسدت الأخلاق، وسقطت الهمم، وضاقت الأرزاق، وغلت الأسعار، وعمت المجاعات، وعطلت المدارس، وأقفرت الزوايا، وأوحشت المساجد .

في سنة ١٩٤٧م تحررت البلاد من الإنكليز ووقعت اضطرابات هائلة، وهاجر كثير من المسلمين من بلادهم وقامت لهم دولة في شمال الهند الغربي، وبقى سائرهم حولي في الحكومة الهندية وقد فقدوا نشاطهم واستولى عليهم اليأس .

ولست قانطاً يا سيدي من رحمة الله.﴿وهل يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾

ولم أيئس من نهضة المسلمين، فإني رأيتهم طول هذه المدة كالشمس إذا غربت في جهة طلعت في جهة أخرى، وأنهم لم يغب لهم نجم إلا وطلع لهم نجم آخر، فإن مستقبل

العالم معقود بناصيتهم، وأن الله لا يحب الفساد في الأرض ولا يرضى لعباده الكفر.

اقرأ على أمتك مني السلام،وقل لها إني أشهد الله أن هذه الأمة ما أفلحت إلا بالتمسك بالدين، وما خسرت إلا بالغفلة عن الدين، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، هذا الذي شهدته واختبرته في هذه القرون المتطاولة، ﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾.

ولما انتهت المنارة من كلامها، انصرفت عنها ورجعت إلى مكاني وبت ليلتي أفكر في ما سمعت وبادرت في الصباح فقيدت حديث المساء.

عمربن الخطاب وأم البنين

لدى عمرأميرا المؤمنينا قفوا بي وقفة المتهيبينا
مليك ذومآثر باسقات يقصرعن مداها السابقونا
خوالد ما عفت قدماً ولكن يعطر نشر ذكراها القرونا
فمن يمدح لمكرمة فإني نظمت بمدحة عقداً ثمينا
وهاكم ما روى العباس عنه أراه بانتباهكم قمينا
يمثل صورة للبؤس فينا ويملي عبرة للحاكمينا
يقول : لقد دعاني الملك وهناً فكنت له بجولته خدينا
أفزته محبته لشعب يعز عليه يوماً أن يهونا
سرى متنكراً والليل قر إلى الأثلات يفتقد الشؤونا
يطوف في الخيام عساه يلقى بمنزوياتها رهطاً حزينا
فمر هناك بامرأة عجوز حواليها صغار يعولونا
وقدر أركزته على أثاف غلى عبثاً لتعليل البنينا
تقول -ودأبها التنفيخ- صبراً بني، ستأكلون وتشبعونا
فظل الملك يمعن ناظريه بها حيناً وبالأولاد حينا
وطال وقوفه في الحي حتى توجس أن يريب به الظنونا
يميناً ليس يبغي البين حتى يرى الأولاد قد ملأوا البطونا

وما زالوا كذلك بضع ساع … تنفخ في الوقود ويصرخونا
فعيل تصبراً، ودنا إليها … وحيا قائلاً: ما تصنعينا ؟
وما لبنيك ينتحبون ؟ قالت … جياع ! قال : لم لم يأكلونا؟
أجابت –والمحاجر دامعات– … أأطعم صبيتي الماء السخينا
فما في القدر غير حصى وماء … أحاول أنهم يتعللونا
لعلهم متى ملوا انتظاري … وساورهم نعاس يهجعونا !!
فقال لها لقد أخطأت رأياً … وأورثت الصغار ضنى وهونا
فلم لم تعرضي شكواك يوماً … على عمر أمير المؤمنينا ؟
إذن لكفاك مر العيش مما … يجود، ولم يكن عمر ضنينا
فقالت: لا سقت عمر الغوادي … ونكس بنده في العالمينا
لقد سمحت بظلمي مقلتاه … وتحميلي الخصاصة والأنينا!
فراع فؤاده ما تدعيه … وقال لها : بربك أخبرينا
فقالت: قد أمال الطرف عنا … ولم يعبأ بما قد حل فينا
أيغفل عن سوائمه مليك … يسمى نفسه الراعي الأمينا ؟
عليه أن يفتش في الرعايا … ويرتاد المزارع والحزونا !
عساه أن يرى مثلي عجوزاً … تبيت الليل تنتظر المنونا
فينعم من خزينته بشئ … تعيل به بنيها المدنفينا
فكم عاف يمنعه حياء ! … فلا يجري مع المتسولينا
يكاد يموت من ظمأ وجوع … ولا يبغي أكف المحسنينا

إذا ملك تغــاضى عن ذويه | فيحسـب في عـداد الظالمينـا
فقال لها:صدقت، فعن قليل | نعـود بمـا تيسـر، فانظرينـا
وسار وسرت محتذياً خطاه | كـأن بنـا إلى وطرحنينـا!
أكروراءه تـحت الدياجي | وتنبحنـا الكـلاب وتقتفينـا
إلى بيت المؤنة حيث أمسى | هنـالك ينبـش الذخـر الدفينـا
وما هوغير لمح الطرف حتى | حملت السمن واحتمل الطحينا
وعدنا والدقيـق عليه يذري | فعفـر عارضيـه والجبينـا
يكاد ينوء تحت الـحمل لكن | مشى طـول المسافة مستكينا
كأني إذ عرضت يـدي عليه | ضربت على صفـاة لـن تلينـا
فقال:اصمت فما حملت عني | ذنوبي يـوم يجـزى المذنبونـا
إلى الأولاد يـا عباس سربي | أمـد لكشـف كربتهـم يمينـا
أناكل كل يـوم كل لـون | وهـم مـن جوعهـم يتضورونـا
ونسرح في ربوع الأنس دوماً | وهـم في كوخهـم يتململونـا
ونرقد لا نبـالي بالبـلايا | وهـم لنبالهـا مسـتهدفونا
جفاني عنـد رؤيتهم رقـادي | وواصلـني صـداع لـن يبينـا
وكدت أحس أن الأرض مادت | وجـوف الغمـر أوشك يحتوينـا
إلى الأولاد يـا عباس أمحو | خطـاي وأغسـل العـار المبينـا
فويم الله ما القـلل الرواسي | كحمـل ظلامـة المسـتضعفينا
فأزجينا الخطى في المهل حتى | طوينـا منـه قاحلـة شـطونا

فأدركنا العجوز عــلى قتاد ... وقد أغضت من التعب الجفونا
وجفت قدرها فوق الأثــافي ... فكــان ثمالهــا كــدراً وطينــا
فأفرغها، وأفعمها دقيقـــاً ... بيمنــاه، ودس بــه السـمونا
وكاد الوقد تحت القدر يخبو ... فــأولج في بقايـــاه غصونــا
مكبـــاً لا يثبطه دخـــان ... تنــاول منخريــه والعيونــا
يجيـد الطبخ تحريكا وغليا ... كـأنك تشـهد الطاهي الفطينـا
فأنضجــه ونحن بجانبيه ... أبـى إصـراره أن يسـتعينا
وأسرع -والبشاشة ملء فيه- ... بتلقيـم الصغــار الجائعينــا
يتامى ما حنا أحــد عليهم ... ولاعرفـوا سـواه أبـا حنونـا
ومال إلى العجوز فقال: مهلاً ... أقلـي اللـوم والـتزمى السكونا
سنذكر للأمير بلاك إنـــا ... إلى عـرش الإمــارة منتمونـا
كفاك كآبة وطـوى وسهــدا ... فنـامي ملء جفنك واصبحينـا
وكان غد لــدى عمر رهيبــا ... عليهـا حيـث أدركـت اليقينـا
لدى عمر، وقد رشقت سهاماً ... مـن التنديـد بـات بهـا طعينـا
فيالك موقفـــاً حرجاً تمنت ... لشـــدة روعهـــا ألا تكونـــا
ولكن نالها منــــه التفات ... نفـى عنهـا التـأثر والشـجونا
فأجزل رفدها بعـــد اعتذار ... وبــدل شــدة الأيــام لينـا
فراحت وهي تروي عنه عدلاً ... وإحسـاناً وفـرط تقـى ودينـا
كذا كان الخليفة من قــديم ... مثــالاً للملوك الصالحينـــا

(الأستاذ جرجي نخلة سعد)

الإمام أبوحامد الغزالي

ولد أبوحامد محمّد الغزالي بطوس سنة ٤٥٠، وكان والده يغزل الصوف ويبيعه في دكانه بطوس، وكان فقيراً صالحاً لا يأكل إلا من كسب يده، ويطوف على المتفقهة ويجالسهم وينفق عليهم بما يمكنه، وكان إذا سمع كلامهم بكى وتضرع وسأل الله أن يرزقه ابناً فقيهاً واعظاً، فاستجاب الله دعوته، ولما حضرته الوفاة وصى به وبأخيه أحمد إلى صديق له من أهل الخير، فلما مات أقبل الرجل على تعليمهما إلى أن فني ذلك المال الذي كان خلفه لهما أبوهما، فقال لهما : اعلما أني قد أنفقت عليكما ما كان لكما وأنا رجل فقير لا مال لي، فأرى أن تلجآ إلى مدرسة فإنكما من طلبة العلم فيحصل لكما قوت يعينكما على وقتكما، ففعلا ذلك وكان هوالسبب في سعادتهما وعلو درجتهما .

قرأ الغزالي في صباه طرفاً من الفقه ببلده على أحمد بن محمد الراذكاني ثم سافر إلى جرجان إلى الإمام أبي نصر الإسماعيلي وعلق عنه التعليقة، ثم رجع إلى طوس.

قال الغزالي : قطعت علينا الطريق وأخذ العيارون جميع ما معي ومضوا فتبعتهم فالتفت إلى مقدمهم وقال ارجع ويحك، وإلا هلكت. فقلت له أسألك بالذي ترجو السلامة منه أن ترد علي تعليقتي فقط فما هي بشئ تنتفعون به فقال لي وما هي تعليقتك ؟ فقلت كتب في تلك المخلاة هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفة علمها فضحك وقال كيف تدعى أنك عرفت علمها وقد أخذناها منك فتجردت من معرفتها وبقيت بلا علم.ثم أمر بعض أصحابه فسلم إلي المخلاة. قال الغزالي هذا مستنطق أنطقه الله ليرشدني به في أمري، فلما وافيت طوس أقبلت على الاشتغال ثلاث سنين حتى حفظت جميع ما علقته، وصرت بحيث لوقطع علي الطريق لم أتجرد من علمي .

وقدم الغزالي نيسابور ولازم إمام الحرمين وجد واجتهد حتى برع في المذهب والخلاف والجدل والأصلين والمنطق، وقرأ الحكمة والفلسفة وأحكم كل ذلك، وفهم كلام أرباب هذه العلوم وتصدى للرد عليهم وإبطال دعاويهم، وصنف في كل فن من هذه العلوم كتباً جليلة .

ولما مات إمام الحرمين خرج الغزالي إلى المعسكر قاصداً الوزير نظام الملك، إذ كان مجلسه مجمع أهل العلم

فناظر الأئمة والعلماء في مجلسه وقهر الخصوم وظهر كلامه عليهم واعترفوا بفضله. وتلقاه الصاحب بالتعظيم والتبجيل وولاه تدريس مدرسته ببغداد وأمره بالتوجه إليها. فقدم بغداد في سنة ٤٨٤ ودرس بالنظامية وأعجب الخلق حسن كلامه وكمال فضله وفصاحة لسانه ونكته الدقيقة وإشاراته اللطيفة وأحبوه. وأقام على تدريس العلم ونشره بالتعليم والفتيا والتصنيف مدة عظيم الجاه زائد الحشمة عالي الرتبة مسموع الكلمة مشهور الاسم. وعلت حشمته ودرجته في بغداد حتى كانت تغلب حشمة الأكابر والأمراء ودار الخلافة.

ثم تبرمت نفسه مما كان فيه من الجاه وكثرة الطلبة والاقتدار على العلوم وتدريسها، واعتراه شك في العلوم وظهر له أنه لا مطمع في سعادة الآخرة إلا بالتقوى وكف النفس عن الهوى، والإقبال على الله تعالى. وأن ذلك لا يتم إلا بالإعراض عن الجاه والمال، وفكر في نفسه فإذا هومقبل على علوم غير مهمة ولا نافعة في طريق الآخرة، وتفكر في نيته فإذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى، فتيقن أنه على خطر، ولم يزل يفكر في مفارقة بغداد وترك التدريس قريباً من ستة أشهر حتى غلب ذلك عليه واعتقل لسانه عن التدريس

وأورث ذلك حزناً في القلب بطل معه قوة الهضم وتعدى إلى ضعف القوى حتى يئس منه الأطباء وأشاروا عليه بالترويح، وخف عليه الإعراض عن الجاه والمال ففارق بغداد، وفرق ما كان معه من المال ولم يدخر إلا قدر الكفاف، وحج البيت الحرام ثم دخل الشام وأقام به قريباً من سنتين لا شغل له إلا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة، اشتغالا بتزكية النفس وتهذيب الأخلاق وتصفية القلب لذكر الله تعالى ثم توجه إلى بيت المقدس فجاور به مدة ثم عاد إلى دمشق واعتكف بالمنارة الغربية من الجامع، وصنف التصانيف المشهورة لم يسبق إليها، مثل إحياء علوم الدين، وصادف دخوله يوما المدرسة الأمينية فوجد المدرس يقول " قال الغزالي " وهويدرس من كلامه، فخشي الغزالي على نفسه العجب، ففارق دمشق وأخذ يجول في البلاد فدخل منها إلى مصر وتوجه منها إلى الاسكندرية فأقام بها مدة، واستمر يجول في البلدان ويزور المشاهد، ويروض نفسه ويجاهدها، واستفاد من صحبة الشيخ أبي علي الفارمدي، وانكشفت عليه علوم وحكم، وعلت مداركه وعاد إلى الوطن وآثر العزلة .

وألزم بالعود إلى نيسابور والتدريس بها في المدرسة النظامية فأجاب إلى ذلك بعد تكرار المعاودات، ودرس مدة

يسيرة وكل قلبه معلق بما فتح عليه من الطريق، ثم رجع إلى مدينة طوس واتخذ إلى جانب داره مدرسة للفقهاء وزاوية للصوفية ووزع أوقاته على وظائف من ختم القرآن، ومجالسة أرباب القلوب والتدريس لطلبة العلم، وإدامة الصلاة والصيام وسائر العبادات، بحيث لا تخلولحظة من لحظاته ولحظات من معه عن فائدة إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى في يوم الاثنين ١٤ جمادي الآخرة ٥٠٥هـ.

قال أخوه أحمد لما كان يوم الاثنين وقت الصبح توضأ أخي أبوحامد وصلى وقال : علي بالكفن فأخذه وقبله ووضعه على عينيه وقال سمعاً وطاعة للدخول على الملك، ثم مد رجليه واستقبل القبلة ومات قبل الإسفار.

وكانت خاتمة أمره إقباله على حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ومجالسة أهله ومطالعة الصحيحين البخاري ومسلم، ومات وكتاب الصحيح للبخاري على صدره.

كان الغزالي رحمه الله شديد الذكاء سديد النظر عجيب الفطرة عالي الهمة مفرط الإدراك، قوى الحافظة بعيد الغور، غواصاً على المعاني الدقيقة مناظراً قوى الحجة.

بين والد جندي وولد فقيه

خرج فروخ أبوعبد الرحمن في البعوث إلى خراسان أيام بنى أمية غازياً، وولده ربيعة حمل في بطن أمه،وخلف عند زوجته أم ربيعة ثلاثين ألف دينار، فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة وهوراكب فرساً في يده رمح،فنزل عن فرسه ثم دفع الباب برمحه فخرج ربيعة، فقال له يا عدوالله أتهجم على منزلي ؟ فقال لا : فقال فروخ يا عدوالله أنت رجل دخلت على حرمتي، فتواثبا وتلبب كل واحد منهما بصاحبه، حتى اجتمع الجيران، فبلغ مالك بن أنس، والمشيخة فأتوا يعينون ربيعة، فجعل ربيعة يقول : والله لا فارقتك إلا عند السلطان، وجعل فروخ يقول : والله لا فارقتك إلا بالسلطان وأنت مع امرأتي، وكثر الضجيج، فلما بصروا بمالك سكت الناس كلهم، فقال مالك : أيها الشيخ لك سعة في غير هذه الدار، فقال الشيخ هي داري وأنا فروخ مولى بني فلان فسمعت امرأته كلامه فخرجت فقالت : هذا زوجي، وهذا ابنى الذي خلفته وأنا حامل به، فاعتنقا جميعاً وبكيا، فدخل فروخ المنزل وقال هذا ابني ؟ قالت نعم!

قال فأخرجي المال الذي لي عندك، وهذه معي أربعة آلاف دينار، فقالت المال قد دفنته وأنا أخرجه بعد أيام .

فخرج ربيعة إلى المسجد وجلس في حلقته وأتاه مالك بن أنس، والحسن بن زيد، وابن أبي علي اللهبي والمساحقي، وأشراف أهل المدينة وأحدق الناس به، فقالت امرأته اخرج صل في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، فخرج فصلى، فنظر إلى حلقة وافرة، فأتاه فوقف عليه، ففرجوا له قليلاً، ونكس ربيعة رأسه يوهمه أنه لم يره، وعليه طويلة، فشك فيه أبوعبد الرحمن، فقال من هذا الرجل ؟ فقالوا له هذا ربيعة بن أبي عبد الرحمن، فقال أبوعبد الرحمن، لقد رفع الله ابني، فرجع إلى منزله فقال لوالدته لقد رأيت ولدك في حالة ما رأيت أحداً من أهل العلم والفقه عليها، فقالت أمه، أيما أحب إليك ثلاثون ألف دينار، أوهذا الذي هوفيه من الجاه ؟ قال لا والله، إلا هذا، قالت فإني أنفقت المال كله عليه، قال فوالله ما ضيعته .

(تاريخ بغداد للخطيب، - ج ٨ ص٤٢١-٤٢٢)

فاكهة الهند

إن كنت تبغي أطيب اللذات
فعليك صاح بأنبه الثمرات
في حسن مرأى في نباهة سيرة
في لطف ذات في سموصفات
يا حسن حمرتها وخضرتها وصفر
تها على الأشجار في الروضات
وترى ثماراً علقت في غصنها
مختوم راح في أكف سقاة
لم يختلف كمثالها الأثمار في
الألوان والأذواق والهيئات
هذا، ولا تحسبه صنفاً واحداً
بل جملة الأصناف مختلفات
سبحان من بالفضل فضلها على
أشهى مذوقات ومشمومات
بالجامعية فاقت الأثمار كا
لإنسان فاق جميع حيوانات

جل القـــــدير الفـرد مــن في ثـمرة
بـالصنع يجمــع ســائر الثمــرات
وإذا تجــــلى في الغصـــــون رأيتـه
داني الصفات بعيد موصوفات
لله در بهـــــائهـا ووفـــــــائهـا
مــن غصنهـا تنفـك بالعــبرات
للمـرء فيــــــه منتهى حـاجـاتـه
تغنيـه عـن مـاء وعـن أقـوات
وإذا دعـــــــاك الله صـاح فواتـه
وتمتعـــن بـــه قبيـــل فـــوات
فـــإذا انقضـت أيامـه كـالبرق لا
يجديك حينئذ سوى الحسـرات
لا غـــــروإن قصرت مداها إن أيا
م الســـرور تمـــر كالســـاعات
يا صــاح مـا هذا الجمود فقـم بنا
نخـرج إلى الأنهـار والدوحـات
فالغيـــــم تبكى مثل صب هائـم
والـبرق يضحـك نحومبتسـمات

والورق يصفـــق باتفاق غصونها
والطير يسجع باختلاف لغات
أومـــا ترى المـاء المبارك كيف أ
نبت سائر الأزهار والحبات
فدع التنســـك ساعة بخلاعة
نقضي فرائض هذه الأوقات
نلهوونترامي الثمــار وجوهها
وقشورها ببدائع الحركات
نفـرى شرور الدهر عنـا يومنا
بترنم يحيي العظام رفات
ولئن يلمـك اللائمـون فقل لهم
الاضطرار يبيح محظورات

(الشيخ ذوالفقار على الديوبندي)

حديث القمر

(١)

كانت السماء مصحية لا غيم فيها، والليلة مقمرة، وكان هشام يطالع القمر كأنما يطالع في كتاب .

وكان أبوه يرى ذلك في الليالي المقمرة فأراد أن لا يضيع هذا النظر ولايخلومن درس .

قال الوالد يا هشام أراك تنظر إلى القمر طويلاً كأنك تتمتع بمنظره .

هشام : - نعم يا أبي إن منظره جميل جداً لا أكاد أملأ عيني منه، ولوقدرت لصعدت إليه بسلم .

الوالد :- وكم تقدر بعده يا هشام وأي سلم أومنارة تراها تكفيك للصعود إلى القمر ؟

هشام :- إني لم أر يا أبي سلماً رفيعاً جداً، ولكني أقدر إذا كانت هنالك منارة ارتفاعها ضعف منارة قطب الدين في دهلي لأمكن الصعود إلى القمر

الوالد :- وكم ارتفاع منارة قطب الدين يا هشام ؟

هشام :- سمعت أن ارتفاعها مائتان واثنتان وأربعون قدماً أوثمانون ذراعاً، وذلك ارتفاع كبير.

الوالد :- سبحان الله إنك ولد بسيط، إن القمر يا ولدي يبعد من الأرض مأتى ألف وخمسين ألف ميل وهوأقرب الكواكب إلى الأرض.

هشام :- ففي كم مدة يصل الإنسان إلى القمر إذا سافر إليه .

الوالد :- إذا سافر الإنسان إلى القمر في قطار يسير خمسين ميلاً في ساعة فإنه يصل إلى القمر في نحوسبعة أشهر.

وإذا كانت الطائرة تطير خمس مأة ميل في ساعة فالإنسان يصل إلى القمر بالطائرة في يومين وعشرين ساعة .

هشام :- يا سبحان الله .وسمعتك يا أبي تقول إن القمر أقرب الكواكب إلى الأرض فهل القمر كوكب ؟

الوالد :- نعم يا ولدي القمر والشمس والأرض والنجوم كلها كواكب، منها القريب ومنها البعيد، ومنها الصغير ومنها الكبير.

هشام :- شيئٌ غريب، فهل الشمس أقرب الكواكب إلى الأرض ولذلك نورها ساطع وقوى جداً .

الوالد :- لا يا ولدي الشمس تبعد من الأرض مقدار تسعين مليوناً وثلاثة ملايين، فالإنسان يصل إلى الشمس في ذلك القطار في مأتى عام وعشرة أعوام .

هشام :- الله أكبر، ولأى شيئ هي ساطعة واضحة جداً ؟

الوالد :- لأنها أكبر من الأرض مليون وثلاث مأة ألف مرة، ولولا هذا البعد الشاسع لكانت أسطع وأوضح .

هشام :- وهل هذه النجوم التي نراها كالنقط صغيرة جداً .

الوالد :- لا يا ولدي إن بعض النجوم أكبر من الشمس بكثير، ولكنها أبعد عنها كذلك بكثير، حتى إن بعضها لا يرى إلا بالمكبرة .

حديث القمر

(٢)

هشام :- وكيف الناس في عالم القمر، وكيف ديانتهم، وأخلاقهم، وكيف المساجد والمدارس ؟ وهل في المدارس اختبار سنوي، وكتب صعبة ؟ومعلمون غلاظ ؟

الوالد :- إنك لسئول وحدّيث، وهل إذا خبرتك بأن عالم القمر ليس فيه مدارس، أوهنالك مدارس ولكن ليس فيها اختبار وامتحان، والمعلمون كلهم رحمة وشفقة لا يعاقبون ولا يغضبون فهل تهاجر من الأرض إلى القمر ؟

هشام:- نعم يا أبي إذا هاجرت معي وهاجرت معنا أمنا وأسرتنا،ولكنى أعدك بأني أقرأ هنالك .

الوالد :- يؤسفك أن القمر ليس فيه عمران ولا يوجد فيه السكان بل هوقاع صفصف لأن البرد هنالك شديد لا يطيقه الإنسان .

هذا ما وصل إليه الإنسان وانتهي إليه علمه إلى هذا الوقت، ومن يدري لعله يثبت خلاف ذلك غداً، فإن علم

الإنسان ناقص، وهوكالكوكب السيار يتحول ويتغير.

فقد نقض العلم الحديث القديم، ومن يقدر أن يقول إنه لا ينقض هذا الحديث أحدث منه وأحكم منه، فالآلات تتحسن وترتقى والإنسان في اكتشاف واختبار.

فبالأمس كان الناس يعتقدون أن الشمس تدور حول الأرض وأن الأرض ساكنة مسطحة، ويستدلون على ذلك بكل شيئ، ثم أثبتوا بالدلائل والاختبار أن الأرض مستديرة كروية الشكل تدور حول الشمس، وإذا خالف ذلك إنسان رأى إليه الناس شزراً، وظنوا أنه من رجال القرون الماضية.

حديث القمر

(٣)

هشام :- ومن أين هذا النور يا أبي وهل هنالك قمر آخر ؟

الوالد :- هذا النور عارية من الشمس، فإن نور الشمس ينعكس في القمر فيستنير كما ينعكس نور المصباح في المرآة فتستنير المرآة .

هشام :- وما هو الخسوف يا أبي ؟ فقد رأيت القمر ليلة الجمعة مخسوفاً، ورأيت الناس يتصدقون ويصلون .

الوالد:- القمر يدور حول الأرض و......

هشام :- وهل القمر أصغر من الأرض ؟

الوالد :- نعم، الأرض أكبر من القمر خمسين مرة، فالقمر يدور حول الأرض، والأرض كما علمت تدور مع القمر حول الشمس، فإذا حالت الأرض بين القمر والشمس أصبحت حجاباً للقمر وانقطع عنه نور الشمس وأظلم القمر، فإذا حجبت الأرض جرم القمر كله احتجب القمر

كله، وإذا حجبت بعض جرمه احتجب وأظلم هذا الجزء فقط !

هشام :- لم أفهم ذلك جيداً يا أبي !

الوالد:- أنظر هذا مصباح منير، وهذه مرآة مصقولة وقد أشرقت المرآة بنور المصباح أليس كذلك يا عزيزي ؟

هشام : - بلى يا سيدي !

الوالد : - ولماذا أظلمت هذه المرآة الآن وأين ذهب النور المنعكس فيها ؟

هشام : - لأنك وقفت بينهما فحجبت النور عن المرآة، والمرآة المسكينة ليس نورها فيها بل يأتيها من المصباح .

الوالد : - صدقت يا ولدي، وذلك القمر مع الشمس لا يزال مستنيراً بنورها حتى يحول بينهما حائل، والحائل هو الأرض فقط .

هشام : - ولماذا لا تحول الأرض دائماً بين الشمس والقمر ولماذا لا ينخسف القمر دائماً ؟

الوالد :- أحسنت السؤال، وذلك لأن القمر يتزحزح قليلاً عن مكانه في الدوران فلا تجتمع الشمس والقمر والأرض على خط واحد إلا في النادر، وإذن ينخسف القمر أوتنكسف الشمس .

هشام : - ولابد أن الشمس تنكسف إذا حال القمر بين الشمس والأرض فيحجب نور الشمس عن الأرض بطبيعة الحال .

الوالد : - إنك لولد فطن، وقد أصبت في القياس .

هشام : - وماذا ينبغي لنا أن تعمل عند الكسوف والخسوف.

الوالد : - كان الناس في قديم الزمان يعتقدون أن الشمس والقمر إنما ينكسفان لحادثة مهمة في الأرض لموت رجل جليل مثلاً، ومات إبراهيم بن محمد عليه السلام فانكسفت الشمس فقالوا إنما انكسفت الشمس لموت ابن الرسول، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى دخل المسجد فدخل المسلمون فصلى بهم ركعتين حتى انجلت الشمس فقال : إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد، ولا لحياته فإذا رأيتموها فصلوا وادعوا حتى يكشف ما بكم .

وقال: " إنهما آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد، ولا لحياته فإذا رأيتموها فافزعوا إلى الصلاة ".

السلطان مظفر الحليم الكجراتي

(١)

السلطان الفاضل العادل السلطان مظفر المحدث الفقيه مظفر بن محمود بن محمد بن أحمد بن مظفر الكجراتي، أبوالنصر شمس الدين مظفر شاه الحليم صاحب الرياستين، ولد يوم الخميس لعشر بقين من شوال سنة خمس أوسبعين وثمان مائة بأرض كجرات، ونشأ في عهد السلطة ورضع من لبان العلم وتنبل في أيام أبيه، وقرأ على مجد الدين محمد بن محمد الأيجي العلامة وعلى غيره من العلماء، وأخذ الحديث عنه وعن الشيخ المحدث جمال الدين محمدبن عمر بن المبارك الحميري الحضرمي الشهير ببحرق، وتدرب في الفنون الحربية حتى فاق أسلافه في العلم والأدب وفي كثير من الفعال الحميدة، وقام بالملك بعد والده يوم الثلاثاء ثالث شهر رمضان سنة ٩١٧ من الهجرة، وافتتح أمره بالعدل والسخاء والنجدة والجهاد وسد الثغور وإكرام العلماء.

وكان غاية في التقوى والعزيمة والعفووالتسامح عن الناس، ولذلك لقبوه بالسلطان الحليم، وكان جيد القريحة سليم ا لطبع، حسن المحاضرة عارفاً بالموسيقي، مشاركاً في أكثر العلوم والفنون، ماهراً في الفنون الحربية من الرمى والضرب بالسيف والطعن بالرماح والفروسية وا لمصارعة، خطاطاً جيد الخط، كان يكتب النسخ والثلث والرقاع بكمال الجودة، وكان يكتب القرآن الحكيم بيده ثم يبعثه إلى الحرمين الشريفين، وحفظ القرآن في حياة والده في أيام الشباب .

وكان يقتفى آثار السنة السنية في كل قول وفعل، ويعمل بنصوص الأحاديث النبوية، وربما يذكر الموت ويبكى، ويكرم العلماء ويبالغ في تعظيمهم، وكان لا يحسن الظن بمشايخ عصره في بداية حاله ثم مال إليهم .

ولم يزل يحافظ على الوضوء ويصلي بالجماعة ويصوم رمضان ولم يقرب الخمر قط، ولم يقع في عرض أحد، وكان يعفوويسامح عن الخطائين، ويجتنب الإسراف والتبذير، وبذل الأموال الطائلة على غير أهلها .

وكان كثير التفحص عن أخبار الناس، عظيم التجسس عن أخبار المماليك، وربما يغير زيه ولباسه ويخرج

من قصره آناء الليل والنهار ويطلع على الأخبار ويستكشف الأسرار.

قال الآصفي : إنه وصل إليه يوماً من القاضي بجانبانير رسول الطلب وقد تظلم منه تاجر خيل فكما بلغه وعلى ما كان عليه في حال الخلق أجاب الرسول وخرج ماشياً إلى مجلس القاضي، وجلس مع خصمه بين يديه، وادعى التاجر عليه أنه لم يصله ثمن أفراسه وثبت ذلك. وأبى التاجر أن يقوم من مجلسه قبل أداء الثمن، وحكم القاضي به فمكث السلطان مع خصمه إلى قبض التاجر الثمن، وكان القاضي لما حضر السلطان في المحكمة وسلم عليه لم يتحرك من مجلسه. وما كفاه ذلك حتى إنه أمره أن لايترفع على خصمه ويجلس معه. والسلطان لا يخرج عن حكمه. ولما قبض التاجر الثمن وسأله القاضي هل بقيت لك دعوى عليه وقال لا. عند ذلك قام القاضي من مجلسه وسلم على عادته فيه ونكس رأسه في ما يعتذر به. فقام السلطان من مجلسه مع الخصم وأخذ بيد القاضي، وأجلسه في مجلس حكمه كما كان، وجلس إلى جنبه وشكره على عدم مداهنته في الحق حتى إنه قال لوعدلت عن سيرتك هذه رعاية لي لانتصفت للعدالة منك وأنزلتك منزلة آحاد الناس

لئلا يأتي بعدك غيرك بما أتيت، فجزاك الله عني خيراً بوقوفك مع الحق فمثلك يكون قاضياً، فأثنى عليه القاضي وقال مثلك يكون سلطاناً .

قال الآصفي : ومن بره المستفيض لأهل الحرمين الشريفين أنه نجر مركباً وشحنه بالقماش الثمين وأرسله إلى ميناء الحجاز جدة، وجعله وما فيه صلة لهم، وله بمكة المشرفة رباط يشتمل على مدرسة وسبيل وعمارة غيرها، وعين وقفاً يتجهز محصوله إلى مكة في كل موسم للمدرسين بمدرسته والطلبة وسكنة الخلاوي والخدم وما في معناه، ويتجهز سواه لأهل الحرمين وكان ذلك مستمراً في أيامه .

ومن مآثره الحسنة بالحرمين مصحفان بخطه المنسوب، كتبهما بقلم الثلث المجرد بماء الذهب، وإمام الحنفية مخصوص بالقراءة فيهما، وربعتان أيضاً بخطه كذلك، وللمصحفين والربعتين وقف مخصوص يتجهز كل عام إلى الحرمين الشريفين لقارئ المصحف وقراء الأجزاء وشيخ الربعة ومفرقها والحافظ لها والداعي له عند الختم والسقاء في الوقت والنقيب والفراش، وقد رأيت ذلك وكان مستمراً إلى شهادة السلطان محمود .

السلطان مظفر الحليم الكجراتي

(٢)

ومن نوادر فعاله أنه لما تغلب مدني رأى على بلاد مالوه وضيق على المسلمين وخرج محمود شاه الخلجي صاحب مالوه من بلاده هارياً عنه إلى كجرات، نهض السلطان مظفر الحليم من بلاده إلى مالوه سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة بعساكره، فوصل إلى " دهار" ثم إلى "مندو" ونزل على القلعة وشرع في المحاصرة، وأما مدني رأى فإنه لما بلغه نزول السلطان " بديولة " قال لأصحابه قرب منا المظفر ولا سبيل إلى الحرب إلا إذا حضر" رانا سانكا " صاحب جتور فاكفوني أنتم القلعة وأنا أسير إليه وأصل به، وعلى هذا ودعهم وعزم لطلبه، فلما نزل السلطان على القلعة خرج يوماً فيه نخبة من رجال القلعة على أن يشتبكوا بالمسلمين،وكانوا حذرين فشدوا عليهم وقتلوا منهم كثيراً وهرب الباقون وتركوا السيف واعتمدوا على الخديعة فطلبوا الأمان لتسليم القلعة وترددوا فيه أياماً، ثم سألوا الأمان لأموالهم، فلما أجيبوا طلبوا المهلة للجمعة ثم سألوا التباعد

عن القلعة ليأمنوا في الخــروج. فلمــا فعل ذلك بلغه وصول "رانـا سـانكا " إلـى " أجـين" فغضـب السلطان وركـب علـى ربوة مرتفعة هناك وجلس عليها، وأما الأمراء فكل منهم في سلاحه الكامل في ظل علمه واقف تحت الربوة، فطلب من بينهم عادل خان الفاروقي صاحب برهان بور وقلده إمارة العسكر المجهز لحرب صاحب جتور، وخلع عليه وقلده سيفاً وحياضـة ومجنـاً وتسـعة مـن الخيـل وحلقـة مـن الأفيـال، وأوصاه وودعه، وكذلك طلب فتح خان صاحب رادهن بـور وأعطـاه مثلـه، وكذلك طلـب قـوام خـان ثـم أوصاهمـا بعـادل خـان وودعهمـا، ثـم استـدعى عسـكر هـؤلاء ووعدهـم جميلاً وخص وجوه العسكر بالأقبية وأمر بسائرهم بالتنبل على عادة الهند في الرخصة لهم، ونهض إلى منزله الأول وجد في أسبـاب الفتـح ودخـل القلعـة عنـوة في ثـاني يـوم نزولـه، وأعمل السيف فيهم، وكان آخر أمرهم أنهم دخلوا مساكنهم وغلقوا الأبواب، وأشعلوها ناراً فاحترقوا وأهليهم، والسلطان تحت المظلة وهكذا محمود وهما يسيران رويداً رويداً والدماء تسيل كالعين الجارية في سكك القلعـة من كل جـانب إلى مخـارج المـاء منهـا، وبلغ عدد القتلى من الكفرة تسعة عشر ألفاً سوى من غلق بابه واحترق وسوى أتبـاعهم، فلمـا وصل السلطان إلى دار سلطنة الخلجي التفت إليه وهنأه بالفتح

وبارك له في الملك وأشار بيده المباركة إلى الباب، وقال له بسم الله ادخلوها بسلام آمنين، وعطف عنانه خارجاً من القلعة إلى القباب. ودخل الخلجي منزله واجتمع بأولاده، وأهله، وسجد شكراً لله سبحانه. فلما بلغ مدني رأى شهق شهقة وغشي عليه وسمع رانا سانكا بعادل خان وقرب من أجين فاضطرب وقال لمدني رأى ما هذه الشهقة قد قضي الأمر فإن عزمت على أن تلحق بأصحابك فها عادل خان يسمع نفيره، وإلا فأدرك نفسك. ثم أمر به فحمل على فيل وخرج من أجين إلى جهاته خائباً، وتبعه عادل خان إلى ديبال بور وتوقف بها حتى جاءه الطلب .

ثم إن الخلجي تفقد ذخائره وهيأ الضيافة ونزل إلى مظفر شاه السلطان وسأله التشريف بالطلوع فأجابه، فلما فرغ من الضيافة دخل به في العمارات التي كانت من آثار أبيه وجده فأعجب بها وترحم عليهم، ثم جلسا في جانب منه وشكره الخلجي وقال : الحمد لله الذي أراني بهمتك ما كنت أتمناه بأعدائي ولم يبق لي الآن إرب في شيئ من الدنيا، والسلطان أولى بالملك مني وما كان له فهولي، فأسألك قبول ذلك، وللسلطان أن يقيم به من شاء، فالتفت السلطان إليه وقال له إن أول خطوة خطوتها إلى هذه الجهة كانت لله تعالى، والثانية كانت لنصرتك وقد نلتها فالله

يبارك لك فيه ويعينك عليه، فقال الخلجي خلا الملك من الرجال فأخشى ضياعه، فأجابه مظفر شاه الحليم وقال له أما هذا فمقبول سيكون آصف خان معك باثني عشر ألف فارس إلى أن يجتمع رجالك، فطلب الخلجي أن يكون عنده ولده تاج خان وألح عليه فأجابه إلى ذلك، ووعده بالنصر في جميع الأوقات، وقال لآصف خان ما لك ولأصحابك كافة من الجراية والولاية عندي فهي على حالها إلى أن ترجعوا إلى منازلكم، وما يعطيكم الخلجي فهو مضاف إليه للتوسع في الوقت، وأمر للخلجي بخزانة ثم ودعه ونزل.

وقيل إن مظفر شاه لما فتح القلعة ودخلها سأله أركان دولته أن يستأثر بها فالتفت إلى الخلجي وقال له: احفظ باب القلعة برجال لا يدعوا أحداً يدخلها بعد حتى من ينتسب إلي، فطلب الخلجي أن يمكث في المباني التي لا يعرف لها نظير في الهند، وانتهى إلى بناء بابه مغلق فاستفتحه ودخل إلى حجر هنالك فأمر الطواشية بفتحها واستدعاء من فيها فإذا بنساء برزن في حلى وحلل قل أن رأت العين مثلهن، وبأيديهن أصناف الجواهر، وما منهن إلا من سلمت ونثرت ما بأيديها على قدم السلطان فأشار بأن يحتجبن لأن النظر إلى الأجنبية لا يحل، فقال الخلجي كلهن

ملكي وأنا مالك والعبد وما ملك لمولاه فدعا له وعاد إلى قبابه.

فلما نهض للمسير راجعاً نزل الخلجي ومعه تاج خان وآصف خان وشيعه إلى حده وسأله الدعاء ورجع، ورخص السلطان لعادل خان فرجع إلى برهان فور ووصل السلطان بالفتح والدعاء إلى جانبانير، وكان يوم دخوله مشهوداً كثر فيه الدعاء له من سائر عباد الله تعالى .

وكان فتح مندوفي ثاني عشر من صفر سنة أربع وعشرين وتسعمائة، وهومن نوادر الوقائع لا يذكر مثله لأحد من ملوك الهند وسلاطينها بل سلاطين غيرها من البلاد .

وأعجب من ذلك أن هذا الخلجي وأسلافه كانوا من أعداء دولتهم، فإن جده محمود شاه الخلجي الكبير كان - سامحه - الله يصول عليهم مرة بعد أخرى وفي كل مرة يخسر ويخيب في أمله، وأبوه غياث الدين الخلجي خرج إلى كجرات لنصرة كفار الهند على محمود شاه الكجراتي الكبير، وكذلك جده في أيام محمد شاه الكجراتي - سامحها الله تعالى - ولله در من قال :

هيهات لا يأتي الزمان بمثله
إن الزمان بمثله لبخيل

السلطان مظفر الحليم الكجراتي

(٣)

قال الآصفي وفي سنة إحدى وثلاثين وتسع مائة خرج السلطان إلى مصلى العيد للاستسقاء وتصدق وتفقد ذوي الحاجة على طبقاتهم وسألهم الدعاء، ثم تقدم للصلاة، وكان آخر ما دعا به كما يقال : اللّهم إني عبدك ولا أملك لنفسي شيئاً فإن تلك ذنوبي حبست القطرفها ناصيتي بيدك فأغثنا يا أرحم الراحمين، قال هذا ووضع جبهته على الأرض واستمر ساجداً يكرر قوله يا أرحم الراحمين، فما رفع رأسه إلا وهاجت ريح ونشأت سحابة ببرق ورعد ومطر، ثم سجد لله شكراً ورجع من صلاته بدعاء الخلق له وهويتصدق وينفح بيده بالمال يميناً وشمالاً .

وبعد الاستسقاء بقليل اعتراه الكسل ثم ضعف المعدة ..... وفي خلال ذلك عقد مجلساً حافلاً بسادة الأمة ومشايخ الدين وصوفية اليقين، واجتمع بهم وتذاكروا في ما يصلح بلاغاً للآخرة، إلى أن تسلسل الحديث في رحمة الله سبحانه وما اقتضاه منه وإحسانه، فأخذ يشرح ما منَّ الله عليه من

حسنة ونعمة واعترف بعجز شكرها إلى أن قال : وما من حديث رويته عن أستاذي المسند العالي مجد الدين لروايته له عن مشايخه إلا وأحفظه وأسنده وأعرف لراويه نسبته وثقته وأوائل حاله إلى وفاته، وما من آية إلا ومن الله على بحفظها وفهم تاويلها وأسباب نزولها وعلم قراءتها، وأما الفقه فأستحضر منه ما أرجوبه مفهوم " من يرد الله به خيراً يفقه في الدين " ولي مدة أشهر أصرف وقتي باستعمال ما عليه الصوفية وأشتغل بما سنه المشايخ لتزكية الأنفاس عملاً بما قيل : من تشبه بقوم فهومنهم، وها أنا أطمع في شمول بركاتهم متعللاً بعسى ولعل، وكنت شرعت بقراءة معالم التنزيل وقد قاربت إتمامه إلا أني أرجوأن أختمه في الجنة إن شاء الله تعالى، فلا تنسوني من صالح دعائكم، فإني أجد أعضائي فقدت قواها، فدعا له الحاضرون بالبركة في العمر.

قال وفي سنة ٩٣٢هـ على خروجه من جانبانير ظهرت منه مخائل المستودع بفراق الأبد لها ولأهلها، وأكثر من أعمال البر فيها وفي طريقه إلى أحمد آباد، ولما نزل بها كان يكثر من التردد إلى قبور الصالحين، ويكثر من الخير بها، وكان له حسن ظن بالعلامة خرم خان فقال له يوماً

نظرت في ما أوثر به أولى الاستحقاق من الإنفاق فإذا أنا بين إفراط في صرف بيت المال وتفريط في منع أهله، فلم أدر إذا سئلت عن ذلك بماذا أجيب؟

وفي آخر أيامه وكان يوم الجمعة قام إلى القصر واضطجع إلى أن زالت الشمس فاستدعى بالماء وتوضأ وصلى ركعتي الوضوء، وقام من مصلاه إلى بيت الحرم واجتمعت النسوة عليه آئسات باكيات يندبن أنفسهن حزناً على فراق لا اجتماع بعده، فأمرهن بالصبر المؤذن بالأجر، وفرق عليهن مالاً ثم ودعهن واستودعهن الله سبحانه، وخرج وجلس ساعة ثم استدنى منه راجه محمد حسين المخاطب بأشجع الملك، وقال له قد رفع الله قدرك بالعلم، أريد أن تحضر وفاتي تقرأ علي سورة يسين وتغسلني بيدك وتسامحني فيه، فامتن بما هوأهله وفداه ودعا له،وسمع أذاناً فقال أهوفي الوقت فأجاب أسد الملك هذا أذان الاستدعاء لاستعداد صلاة الجمعة ويكون في العادة قبل الوقت، فقال أما صلاة الظهر فأصليها عندكم وأما صلاة العصر فعند ربي في الجنة إن شاء الله تعالى، ثم أذن للحاضرين في صلاة الجمعة وطلب مصلاه، وصلى ودعا الله سبحانه بوجه مقبل عليه، وقلب منيب إليه، دعاء من

هومفارق للقصر مشرف على القبر، ثم كان آخر دعائه،﴿رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين﴾ وقام من مصلاه ويقول استودعك الله واضطجع على سريره وهومجتمع الحواس ووجهه إلى القبلة، وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله، وفاضت نفسه والخطيب على المنبر يدعوله .

وكان ذلك في ثاني جمادي الأولى سنة ٩٣٢هـ وحمل تابوته إلى " سركهيج " ودفن عند والده طيب الله ثراه، ويحسن الاستشهاد هنا بما رثى به العماد االكاتب سلطانه الملك العادل نور الدين الشهيد رحمه الله .

يا ملكاً أيامه لم تزل بفضله فاضلة فاخرة

ملكت دنياك وخلفتها وسرت حتى تملك الآخرة

(نزهة الخواطر للسيد العلامة عبدالحي الحسني)

رسول المسلمين عند قائد قواد الفرس

أرسل سعد قبل القادسة ربعي بن عامر رسولاً إلى رستم قائد الجيوش الفارسية وأميرهم، فدخل عليه وقد زيّنوا مجلسه بالنمارق المذهبة وزرابي الحرير، وأظهر اليواقيت واللآلي الثمينة، والزينة العظمية وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، وقد جلس على سرير من ذهب .

ودخل ربعي بثياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصيرة، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه، ومغفره على رأسه فقالوا له ضع سلاحك، فقال إني لم آتكم، وإنما جئتكم حين دعوتموني فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت، فقال رستم ائذنوا له، فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق، فخرق عامتها .

فقالوا له ما جاء بكم ؟ فقال : اللّٰه ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة اللّٰه، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضى إلى موعود اللّٰه .

قالوا وما موعود الله ؟

قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقى.

فقال رستم : قد سمعت مقالتكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا ؟

قال : نعم ! كم أحب إليكم ؟ يوماً أويومين ؟

قال : لا، بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا ! فقال ما سن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نؤخر الأعداء عند اللقاء من ثلاث، فانظر في أمرك وأمرهم، واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل .

فقال أسيدهم أنت ؟

قال : لا ولكن المسلمون كالجسد الواحد يجير أدناهم على أعلاهم.

فاجتمع رستم برؤساء قومه فقال هل رأيتم قط أعز وأرجح من كلام هذا الرجل ؟ فقالوا معاذ الله أن تميل إلى شيئ من هذا وتدع دينك إلى هذا الكلب، أما ترى إلى ثيابه؟ فقال ويلكم لا تنظروا إلى الثياب وانظروا إلى الرأى والكلام والسيرة، إن العرب يستخفون بالثياب والمأكل ويصونون الأحساب [1]

---

[1] البداية والنهاية ج ٧ ص ٤٠

الجامع الأزهر

الجامع الأزهر هوذلك المسجد الكبير القائم في مدينة القاهرة لأكثر من تسعة قرون ونصف، وفيه تلك الجامعة الدينية الكبرى، وهوأول مسجد أسس بالقاهرة أنشأه القائد جوهر الكاتب الصقلي مولى المعزلدين الله الفاطمي لما اختط القاهرة، إذ شرع في بنائه لست بقين من جمادى الأولى سنة ٣٥٩ هجرية، وتم بناؤه لتسع من رمضان سنة ٣٦١ هجرية.

وكان حال هذه المدرسة كأمثالها من المعاهد العلمية ودور التعليم، بدأت صغيرة لكنها ما لبثت أن اتسع نطاقها وعظم شأنها بما أفاض عليها الملوك والأمراء حتى أصبحت منبعاً للتعليم الديني، وطبق صيتها الخافقين فانحدر إليها الطلبة من أقصى المسكونة، وتخرج منها العلماء والأئمة في كل فرع من فروع العلم الديني وغيره .

وقد زاد الملوك والأمراء في بنائه ووسعوا في نواحيه وشادوا مساكن للطلاب (أروقة) وأسكنوا فيها من لم يكن له مسكن يأوى إليه، ولا سيما الغرباء وأودعوا فيها كتب التدريس والمراجعة .

كان الأزهر يسير على نظام سهل يكاد يكون فطرياً أساسه التقوى وقوامه احترام الدين وأهله، فلم يكن به من مظاهر نظامات هذه الأيام وتدبيراتها شيئ .

كان الطالب يدخله مختاراً بلا قيد ولاشرط ويختلف إلى من أراد من العلماء لتلقى العلم عنه، ويبقى فيه ما شاء أن يبقى، فإذا آنس من نفسه علماً كافياً وملكة يتمكن بها من إفادة غيره جلس للتدريس حيث يجد مكاناً خالياً، وعرض نفسه على الطلبة فكانوا إذا وجدوه على علم التفوا حوله وقبلوا يده، وإذا رأوا غير ذلك انصرفوا عنه، وتلك هي شهادة العالمية التي كان يعطاها العلماء .

وفي سنة ١٢٨٨ هـ وضع أول قانون للأزهر وصدرت بعد ذلك عدة قوانين .

وفي ٣، محرم سنة ١٣٥٥ هـ صدر مرسوم بإعادة تنظيم الجامع الأزهر والمعاهد الدينية العلمية الإسلامية ونفذ كقانون من قوانين الدولة .

وقد أنشئ قسم عام بالقاهرة ألحق بالجامع الأزهر من سنة ١٣٥٢ هـ، لسد حاجة من يريد التوسع في أحكام الدين واللغة العربية، وقد خص الأزهر دون سائر المعاهد بالتعليم العالي والتخصص .

وأنشئ قسم من الأزهر للتخصص في علوم الدين واللغة العربية والتاريخ الإسلامي والتربية والوعظ والإرشاد

وكليات الجامع الأزهر هي :

- كلية الشريعة
- كلية اللغة العربية
- كلية أصول الدين

وشيخ الجامع الأزهر هو الإمام الأكبر لجميع رجال الدين والمشرف الأعلى على السيرة الشخصية الملائمة لشرف العلم والدين في القطر المصري كله .

وللجامع الأزهر مجلس يسمى المجلس الأعلى للأزهر يشرف على شؤونه وإدارته ويرأس هذا المجلس شيخ الجامع الأزهر.

بلغت ميزانية الجامع الأزهر والمعاهد الدينية العلمية الإسلامية لسنة ١٩٣٦- ١٩٣٧ المالية ٩٧٦ ٣٢٣ جنيهاً مصرياً .

ويبلغ عدد الوظائف الدائمة الخاصة للمدرسين والموظفين ٧٧٦، وعدد الوظائف المؤقتة ٢٣١ .

وبلغ عدد طلبة الأزهر سنة ١٩٣٦ -١٩٣٧ الدراسية ١١١٣٠ طالب

معظم طلبة الأزهر من المصريين والسوريين والأتراك والمغاربة وبعضهم يأتي من الأفغانستان والصين وبغداد وبورنيووالهندوجاوه والعجم وسنار والصومال وجنوب إفريقيا وغيرها .

وكان في الأزهر مجموعة كبيرة من الكتب متفرقة في أروقته وفي جهات متعددة منه، فلما توجهت العناية إلى إصلاح الأزهر وتحسين حاله أنشئت في سنة ١٨٩٧م دار كتب عامة تسمي " دار الكتب الأزهرية الكبرى " تجمع ما تفرق في أروقة الأزهر من الكتب، ورتب لها ما يلزم من المال والعمال، وما زالت هذه الدار تتدرج في الرقي حتى أصبحت تحتوى على ٧٢٦٢٧ مجلداً بين مخطوط، ومطبوع، وفيها من أمهات الكتب ونادرها ما لا يوجد في دار كتب أخرى .

(تقويم مصر بتلخيص)

أدب القـــرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله، إن الله سميع عليم، يآيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون، إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى، لهم مغفرة وأجر عظيم، إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون، ولوأنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم، يآيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين، واعلموا أن فيكم رسول الله، لويطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم، وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان، أولئك هم الراشدون، فضلاً من الله ونعمة، والله عليم حكيم، وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا

فأصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفيئ إلى أمر الله، فإن فآءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا، إن الله يحب المقسطين، إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم، واتقوا الله لعلكم ترحمون، يآ أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب، بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان، ومن لم يتب فأولئك هم الظلمون، يآ أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن، إن بعض الظن إثم، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً، أ يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه، واتقوا الله، إن الله تواب رحيم يآ أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلنكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير، قالت الأعراب آمنا، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم، وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً، إن الله غفور رحيم، إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، أولئك هم الصادقون، قل أتعلمون الله بدينكم، والله يعلم ما في السموات وما في الأرض، والله

بكل شيئ عليم، يمنون عليك أن أسلموا، قل لا تمنوا على إسلامكم، بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين، إن الله يعلم غيب السموات والأرض، والله بصير بما تعملون ﴾

(سورة الحجرات)

شيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية

ولد أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية بحران، يوم الاثنين في ١٠ وقيل ١١ ربيع الأول سنة ٦٦١ هـ وقدم مع والده وأهله إلى دمشق وهوصغير، كانوا قد خرجوا من بلادهم مهاجرين بسبب جور التتر فساروا بالليل ومعهم الكتب على عجلة لعدم الدواب، وكاد العدويلحقهم، ووقعت العجلة فابتهلوا إلى الله تعالى واستغاثوا به فنجوا، وقدموا دمشق في أثناء سنة ٦٦٧ وسمع هناك من أكثر من مأتى شيخ ولازم السماع مدة سنين واشتغل بالعلوم وحفظ القرآن، وأقبل على الفقه وبرع في النحووأقبل على التفسير إقبالاً كلياً حتى حاز فيه قصب السبق، كل ذلك وهوابن بضع عشرة سنة، ولم يزل على ذلك خلفاً صالحاً براً بوالديه تقياً ورعاً ناسكاً صواماً قواماً ذاكراً لله تعالى في كل أمر وعلى كل حال، رجاعاً إلى الله تعالى في سائر الأحوال والقضايا، وقافاً عند حدود الله تعالى وأوامره ونواهيه، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، لا تكاد نفسه تشبع من العلم ولا تروي من المطالعة، ولا تمل من الاشتغال ولا تكل من البحث، وكان

يحضر المجالس والمحافل في صغره فيتكلم ويناظر ويفحم الكبار، ويأتي بما يتحير منه أعيان البلد في ا لعلم، وأفتى وله نحو١٧ سنة، وشرع في الجمع والتأليف من ذلك الوقت، ومات والده فكان من كبار الحنابلة وأئمتهم، درس بعده بوظائف وله ٢١ سنة فاشتهر أمره، وبعد صيته في العالم، وأخذ في تفسير الكتاب العزيز أيام الجمع على كرسي من حفظه فكان يورد ما يقوله من دون توقف ولا تلعثم، وحج سنة ٦٩١ ورجع وقد انتهت إليه الإمامة في العلم والعمل، ولم يخل بعد ذلك من فتنة بعد فتنة، ولم ينتقل طول عمره من محنة إلا إلى محنة، حبس مراراً في مسائل فقهية وكلامية وحبس مرة ببرج، وكان موضعه فسيحاً فصار الناس يدخلون إليه ويقرأون عليه ويبحثون معه، ونقل إلى الجب، ونفي من بلاد ونقل من بلاد إلى بلاد.

وقاموا عليه في شهر رمضان سنة ٧١٩، وأكد عليه المنع من الفتيا، ثم عقد له مجلس آخر في رجب سنة ٧٢٠ ثم حبس بالقلعة، ثم أخرج في عاشوراء سنة ٧٢١، ثم قاموا عليه مرة أخرى في شعبان ٧٢٦ بسبب مسألة الزيارة واعتقل بالقلعة فلم يزل بها إلى أن مات في ليلة الاثنين والعشرين من ذي القعدة سنة ٧٢٨هـ وصلى عليه بجامع

دمشق، وصار يضرب بكثرة من حضر جنازته المثل، وأقل ما قيل في عددهم إنهم خمسون ألفاً.

قال الذهبي كان يقضى منه العجب إذا ذكر مسألة من مسائل الخلاف واستدل ورجح،وكان يحق له الاجتهاد لاجتماع شروطه فيه، وما رأيت أسرع انتزاعاً للآيات الدالة على المسألة التي يوردها منه، ولا أشد استحضاراً للمتون وعزوها منه، كأن السنة نصب عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة وعين مفتوحة، وكان آية من آيات الله في التفسير والتوسع فيه، وأما أصول الديانة ومعرفة أقوال المخالفين فكان لا يشق غباره فيه، هذا مع ما كان عليه من الكرم والشجاعة والفراغ عن ملاذ النفس، ولعل فتاواه في الفنون تبلغ ثلث مائة مجلد بل أكثر، وكان قوالاً بالحق لا تأخذه في الله لومة لائم.

كان أبيض أسود الرأس واللحية قليل الشيب، شعره إلى شحمة أذنيه، وكأن عينيه لسانان ناطقان، ربعة من الرجال بعيد ما بين المنكبين، جهوري الصوت فصيحاً، سريع القراءة، تعتريه حدة لكن يقهرها بالحلم، لم أر مثله في ابتهاله واستغاثته وكثرة توجهه، وأنا لا أعتقد فيه عصمة وكان بشراً من البشر تعتريه حدة في البحث وغضب، وكل

أحد يؤخذ من قوله ويترك .

وكان محافظاً على الصلاة والصوم معظماً للشرائع ظاهراً وباطناً لا يؤتى من سوء فهم فإن له الذكاء المفرط، ولا من قلة علم فإنه بحر زخار ولا كان متلاعباً بالدين ولا ينفرد بمسائله بالتشهي، ولا يطلق لسانه بما اتفق بل يحتج بالقرآن والحديث والقياس ويبرهن ويناظر.

قال الأقشهري في رحلته : ابن تيمية بارع في الفقه والأصلين والفرائض والحساب وفنون أخر، وما من فن إلا وله فيه يد طولى وقلمه ولسانه متقاربان .

وقال شمس الدين ابن الحريري قاضي الحنفية بدمشق إنه منذ ثلاث مائة سنة ما رأى الناس مثله .

وكان ابن تيمية يتكلم على المنبر على طريقة المفسرين مع الفقه والحديث، فيورد في ساعة من الكتاب والسنة واللغة والنظر ما لا يقدر أحد على أن يورده في عدة مجالس، كأن هذه العلوم بين عينيه فيأخذ منها ما يشاء ويذر.

وكان يمر بالكتاب مطالعة مرة فينتقش في ذهنه وينقله في مصنفاته بلفظه ومعناه، وكان من أذكياء العالم وله في ذلك أمور عظيمة، منها أن محمد بن أبي بكر

السكاكيني عمل أبياتاً على لسان ذمي في إنكار القدر، فوقف عليها ابن تيمية فثنى إحدى رجليه على الأخرى وأجاب في مجلسه قبل أن يقوم بمأة وتسعة عشر بيتاً .

وكان دائم الابتهال، كثير الاستغاثة، قوي التوكل، رابط الجأش، له أوراد وأذكار يدمنها قلبية وجمعية .

كيف تعلمت الإسلام في الأندلس النصرانية

أطلعني الله على دين الإسلام بواسطة والدي رحمة الله عليه وأنا ابن ستة أعوام أوأقل، مع أني كنت إذ ذاك أروح إلى مكتب النصارى لأقرأ دينهم ثم أرجع إلى بيتي فيعلمني والدي دين الإسلام، فكنت أتعلم فيهما معاً، وسني حين حملت إلى مكتبهم أربعة أعوام فأخذ والدي لوحاً من عود الجوز كأني أنظر الآن إليه من غير طفل ولاغبرة، فكتب لي فيه حروف الهجاء وهويسألني حرفاً حرفاً عن حروف النصارى تدريباً وتقريباً، فإذا سميت له حرفاً أعجمياً كتب لي حرفاً عربياً فيقول لي هكذا حروفنا، حتى استوفى لي جميع حروف الهجاء في كرتين، فلما فرغ عن الكرة الأولى أوصاني أن أكتم ذلك حتى عن والدتي وعمي وأخي وجميع قرابتنا، وأمرني أن لا أخبر أحداً من الخلق ثم شدد علي الوصية، وصار يرسل والدتي فتسئلني ما الذي يعلمك، فأقول لها : لا شيئ، فتقول : أخبرني بذلك ولا تخف لأني عندي الخبر بما يعلمك : فأقول لها : أبداً ما هويعلمني

شيئاً. وكذلك كان يفعل عمي وأنا أنكر أشد الإنكار، ثم أروح إلى مكتب النصارى وإلى الدار فيعلمني والدي إلى أن مضت مدة فأرسل إلي من إخوانه في الله الأصدقاء فلم أقر لأحد قط بشيئ مع أنه رحمه الله تعالى قد ألقى نفسه للهلاك لإمكان أن أخبر بذلك عنه فيحرق لا محالة. لكن أيدنا الله سبحانه وتعالى بتأييده وأعاننا على ذكره وشكره وحسن عبادته بين أظهر أعداء الدين .

وقد كان والدي رحمه الله تعالى يعلمني حينئذ ما كنت أقوله عند رؤيتي للأصنام وذلك أنه قال لي : إذ أتيت إلى كنائسهم ورأيت الأصنام فاقرأ في نفسك سراً قوله تعالى ﴿ يآ أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له، إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه، ضعف الطالب والمطلوب ﴾ و﴿ قل يآ أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ﴾ إلى آخرها، وغير ذلك من الآيات الكريمة وقوله تعالى :﴿ وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً، وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه، مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً، بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً﴾.

فلما تحقق والدي رحمه الله تعالى أني أكتم أمور دين الإسلام عن الأقارب فضلاً عن الأجانب أمرني أن أتكلم بإفشائه لوالدتي وعمي وبعض أصحابه الأصدقاء فقط، وكانوا يأتون إلى بيتنا فيتحدثون في أمر الدين وأنا أسمع، فلما رأى حزمي مع صغر سني فرح غاية الفرح وعرفني بأصدقائه وأحبائه وإخوانه في دين الإسلام فاجتمعت به واحداً واحداً .

وسافرت الأسفار لأجتمع بالمسلمين الأخيار من جيان مدينة ابن مالك إلى غرناطة وإلى قرطبة وأشبيلية وطليطلة وغيرها من مدن الجزيرة الخضراء أعادها الله تعالى للإسلام، فتلخص لي من معرفتهم أني ميزت سبعة رجال كانوا كلهم يحدثونني بأمور غرناطة وما كان بها في الإسلام حينئذ وبما أقوله بعد وقلته قبل فسندي عال لكونه ما تم إلا بواسطة واحدة بيني وبين الإسلام بها .

فباجتماعي بهم حصل لي خير كثير، ولله المنة، وقد قرأوا كلهم رحمهم الله على شيخ من مشايخ غرناطة أعادها الله للإسلام يقال له الفقيه اللوطوري رحمه الله تعالى ونفعنا به، فإنه كان رجلاً صالحاً ولياً لله فاضلاً زاهداً ورعاً عارفاً سالكاً، ذا مناقب ظاهرة مشهورة وكرامات ظاهرة

مأثورة، قد قرأ لقرآن الكريم في مكتب الإسلام بغرناطة قبل استيلاء العدوعليها، وهوابن ثمانية أعوام، وقرأ الفقه وغيره على مشايخ أجلاء حسب الإمكان لأن الوقت ضاق في السر والإعلان، لشدة القتال والحصر الذي كان عليهم مع صغر سنه، ثم بعد مدة يسيرة انتزعت غرناطة من أيدي المسلمين أجدادنا وقد أذن العدوفي ركوب البحر والخروج منها لمن أراده وبيع ما عنده وإتيانه لهذه الديار الإسلامية أبقاها الله تعالى عامرة بالإسلام إلى يوم الدين، وذلك في مدة ثلاثة أعوام، ومن أراد أن يقيم على دينه وماله فليفعل بعد شروط اشترطوها وإلزامات كتبها عدوالدين على أهل الإسلام، فلما تحركوا لذلك أجدادنا وعزموا على ترك ديارهم وأموالهم ومفارقة أوطانهم للخروج من بينهم، وجاز إلى هذه الديار التونسية والخضرة الخضراء بعثة من جاء إليها حينئذ، ودخلوا في زقاق الأندلس المعروف بهذا الاسم وذلك سنة اثنتين وتسع مائة، وكذلك للجزائر وتطوان وفاس ومراكش وغيرها، ورأى العدوالعزم فيهم لذلك نقض العهد فردهم رغم أنوفهم من سواحل البحر إلى ديارهم، ومنعهم قهراً عن الخروج واللحوق بإخوانهم وقرابتهم لديار الإسلام، وقد كان العدويظهر شيئاً ويفعل بهم آخر مع أن المسلمين أجدادنا

استنجدوا مراراً ملوك الإسلام كملك فاس ومصر حينئذ فلم يقع من أحدهما إلا بعض مراسلات ليقضي الله أمراً كان مفعولاً .

ثم بقي العدو يحتال بالكفر عليهم غضباً، فابتدأ يزيل لهم اللباس الإسلامي والجماعات والحمامات والمعاملات الإسلامية شيئاً فشيئاً مع شدة امتناعهم والقيام عليه مراراً، وقتالهم إياه، إلى أن قضى الله سبحانه ما قد سبق في علمه، فبقينا بين أظهرهم وعدو الدين يحرق بالنار من لاحت عليه أمارة الإسلام ويعذبه بأنواع العذاب.فكم أحرقوا وكم عذبوا وكم نفوا من بلادهم وضيعوا من مسلم، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

سيدي محمد بن عبدالرفيع الأندلسي (١٠٥٢هـ)

وصف قلم

أهـــدى إلي سيـدي [1] قلما رشيقاً من دكـن
يا حبـــذا تلك العـلي من مـاجد حبر الزمـن
هوخـير مـا يهـدى إلى بـاغي العلـوم والفنـن
يسـقى العباد بريقـه ودمائـه يحيى السنن
كم خـامل نـالوا بـه ذكراً رفيعـاً في الوطـن
كم معـدم حـازوا به مـالاً عظيمـاً في المحـن
تقـرى الأمور بحـده ولمجـده يعنوالزمـن
سيف صقيل في الوغي مـوت ذريـع بالرسـن
يرمى البغـاة بسهمـه وبطرفـه تخبوالفـتن
كم عـاجز يقوى بـه بعـد التذلـل والوهـن
كم صـاغـر يلقى بـه عـزاً عزيـزاً وا المنـن
يرقى اللـديغ بنفثـه فيهـب يمشى من وسـن

[1] يعني الشاعر به الأستاذ الكبير السيد سليمان الندوي وقد أهدى إلى النـاظم قلماً مطبوعاً عليه اسمه في رجوعه من حيدر آباد دكن .

يروي الظماء زلالـــــه   فكأن غمامــاً قد هـتن
يشفي العليـــل بطبـه   وبســحره يغـبي الفـتن
كم مفحــــم ألقى بــه   خطبـات سـحبان اللسن
يسقي الجـديب بنبعه   فــإذا بــه روض أغــن
فلثــمتـــه متبــــركاً   وحسبتــه إحـدى المنن

(محمد ناظم الندوي)

عالمكير بن شاه جهان سلطان الهند

(١)

الإمام المجاهد المظفر المنصور السلطان بن السلطان أبوالمظفر محي الدين محمد أورنك زيب عالمكير بن شاه جهان الغازي المؤيد من الله، القائم بنصرة الدين الذي أيد الإسلام وفتح الفتوحات العظيمة وساس الأمور وأحسن إلى الرعايا، وصرف أوقاته في القيام بمصالح الناس وبما يرضى به رب العالمين، من صيام وقيام ورياضة لا يتيسر بعضها لآحاد الناس فضلاً عن الملوك والسلاطين، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ولد ليلة الأحد بخمس عشرة خلون من ذى القعدة سنة ثمان وعشرين وألف بقرية دوحد على مأة ميل من أجين، وسبعين ميلاً من برودة من بطن أرجمند بانوبنت آصف خان أبي الحسن بن غياث الدين الطهراني في أيام جده جهانكير بن أكبر شاه، ونشأ في مهد السلطنة وتنبل في أيام جده وأبيه وقرأ العلم على مولانا عبداللطيف

السلطـان بوري ومولانا محمد هاشم الكيلاني والشيخ محي الدين بن عبد الله البهاري وعلى غيرهم من الأساتذة وأخذ خط النسخ عن الحاج القاسم والنستعليق عن السيد علي بن محمد مقيم الماهرين في الخط حتى كتب خط المنسوب وصار مضرب المثل في جودة الخط، وبرز في كثير من العلوم والفنون، وبايع الشيخ محمد معصوم بن الشيخ أحمد السرهندي وأخذ الطريقة عن الشيخ سيف الدين بن محمد معصوم المذكور، وكان يلازمه بأمر والده لذلك حتى حصلت له نفحة منه وبشره بأشياء واشتهر ذكره في حياة والده وعظم قدره فولاه والده الأعمال العظيمة في أرض دكن فباشرها أحسن مباشرة، ثم حصل لوالده مرض صعب عطله عن الحركة وكان ولي عهده من بعده أكبر أولاده دارا شكوه فبسط يده على البلاد وصار هوا المرجع والسلطان معنى، فلم ترض نفوس إخوته بذلك فنهض شجاع من بنكاله ومراد بخش من كجرات وعالمكير من أرض دكن كل منهم يريد أن يقبض على أخيه دارا شكوه ويتولى المملكة، فاتفق عالمكير ومراد بخش على ذلك فقاتلاه وغلبا عليه، ثم احتال عالمكير على مراد بخش وقبض عليه واعتقل أخويه ثم قتلهما لأمور صدرت منهما وأفتى العلماء أنهما استوجبا

القتل وحبس والده في قلعة أكبر آباد وهيأ له ما يشتهيه من ملبوس ومأكول وأهل الخدمة من الجواري والغلمان، وكانت جهان آرا بيكم بنت شاه جهان تقيم مع والدها في القلعة، والسيد محمد الحسيني القنوجي يلازمه يشتغل عليه ويذاكره في ما ينفعه في عقباه .

وجلس عالمكير على سرير الملك سنة ثمان وستين وألف فافتتح أمره بالعدل والإحسان ورفع المظالم والمكوس، وأسر غالب ملوك الهند المشهورين وصارت بلادهم تحت طاعته، وجبيت له الأموال وأطاعته البلاد والعباد ولم يزل في اجتهاد من الجهاد ولم يرجع إلى مقر ملكه وسلطنته بعد أن خرج منه، فكلما فتح بلاداً شرع في فتح أخرى حتى لحقت حدود ملكه في الجهة الشمالية إلى حدود خيوه وبخارا، وفي الجهة الجنوبية إلى البحر المحيط، وفي الجهة الغربية إلى سومنات على شاطئ بحر الهند، وفي الجهة الشرقية إلى بوري منتهى أرض أريسه .

وكان عالمكير عالماً ديناً تقياً متورعاً متصلباً في المذهب، يتدين بالمذهب الحنفي لا يتجاوز عنه في قول ولا فعل، وكان يعمل بالعزيمة وكان يصلي الصلوات المفروضة في أوائل أوقاتها بالجماعة في المسجد مهما كان ، ويقيم

السنن والنوافل كلها. ويصلي صلاة الجمعة في الجامع الكبير. ولوكان غائباً عن البلدة لأمر من الأمور يأتيها يوم الخميس ويصلي صلاة الجمعة ثم يذهب حيث يشاء، وكان يصوم في رمضان في شدة الحر ويحيي الليالي بالتراويح ويعتكف في العشرة الأخيرة من رمضان في المسجد. وكان يصوم يوم الاثنين والخميس والجمعة في كل أسبوع من أسابيع السنة، ويصوم في أيام ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يصوم فيها، وكان يخرج الزكاة من أمواله قبل أن يجلس على سرير الملك ويعده مما خص لنفسه من عدة قرى وبعض معادن الملح للمصارف الخاصة من نقير وقطمير، وكان يريد أن يرحل إلى الحرمين الشريفين للحج والزيارة في أيام والده فلم يرض بفراقه وبعد ذلك لم تمهله المصالح الملكية. ولكنه كان يرسل الناس إلى الحرمين الشريفين للحج والزيارة ويبذل عليهم العطايا الجزيلة ويبعث إليهما أموالاً طائلة لأهل الحوائج في أيام الحج بعد سنة أوسنتين، ويوظف الذاكرين والذاكرات ويجعل لهم الأرزاق السنية، ويداوم على الطهارة بالوضوء، ويحافظ على الأذكار والأدعية المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم في غالب أوقاته، ويحيي الليالي المتبركة بالصلاة والصدقة

وصحبة العلماء والمشايخ في المسجد، وكان يحترز عن كل سوء ومكروه منذ نعومة أظفاره، لم يشرب الخمر قط ولم يقارب امرأة لا تحل له، وكان لا يستمع للغناء بالمزامير منذ جلس على سرير الملك مع أنه كان ماهراً في الإيقاع والنغم، وما كان أن يلبس الملبوسات غير المشروعة وما كان أن يأكل في الظروف الذهبية والفضية، وأمر أن تصاغ الجواهر الثمينة في الحجر اليشب مقام الذهب، ونهى الأمراء أن يلبسوا غير المشروع، وكان يمنعهم أن يتذاكروا بين يديه بكذب وغيبة وقول الزور، وأمرهم أن يعبروا عن الأمور المستكرهة إن وقع لهم حاجة إلى ذلك، وكان موزعاً لأوقاته فوقت للعبادة ووقت للمذاكرة ووقت لمصالح العسكر ووقت للشكاة، ووقت لقراءة الكتب والأخبار الواردة عليه كل يوم وليلة من مملكته لا يخلط شيئاً بشيئ.

عالمكير بن شاه جهان سلطان الهند

(٢)

ومن مآثره الجميلة أنه حفظ القرآن الكريم بعد جلوسه على سرير الملك فأرخ بعض العلماء لبدء حفظه من قوله ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾ ولتمامه من قوله ﴿لوح محفوظ﴾.

وكانت له معرفة بالحديث، له كتاب الأربعين جمع فيه أربعين حديثاً بعد الولاية، وترجمها بالفارسية وعلق عليها فوائد نفيسة، وكانت له مهارة تامة في الفقه يضرب به المثل في استحضار المسائل الجزئية.

وكان بارعاً في الخط كتب مصحفاً بيده قبل جلوسه على السرير وبعثه إلى مكة المكرمة وبعد جلوسه مصحفاً آخر وبعثه إلى المدينة المنورة، وانتسخ الألفية لابن مالك في صباه وأرسلها إلى مكة لينتفع بها الناس من أهل البلدة المباركة، وكان ماهراً في الإنشاء والترسل لم يكن له نظير في زمانه في ذلك، وقد جمع المؤلفون شيئاً كثيراً من رسائله في

كتب كثيرة، وكان مقتدراً على الشعر ولكنه كان قليل العناية به يمنع الناس من أن يضيعوا أوقاتهم في ذلك .

وكان ماهراً في الرمي والطعن والضرب والفروسية وغيرها من الفنون الحربية شجاعاً مقداماً باسلاً، وكان والده شاه جهان يوماً يتفرج في البرج المشرف على نهر جمن على مصارعة الأفيال، وكان عالمكير أيضاً في الزحام وهو يومئذ في الرابع عشر من سنه وكان على فرس، وإذا بفيلة قد ثارت ففر الناس كلهم وثبت عالمكير وتوجهت إليه الفيلة ولفت فرسه بخرطومها وصرع عالمكير من صهوة الفرس ثم قام وسل السيف عليها وجاء الناس ودفعوا الفيلة بالضرب والطعن وإيقاد النار.

وكان سخياً جواداً كريماً يبذل على الفقراء وأهل الحاجة العطايا الجزيلة ويسامحهم في الغرامات، أبطل ثمانين نوعاً من المكوس في سنة تسع وستين وألف، ونهى عن مطالبة الأبناء بغرامات الآباء ومصادرة أموالهم في القضاء، وبذل أموالاً طائلة على إصلاح الشوارع والطرق في نواحي الهند، وحفر الآبار وأجرى العيون وأسس الجسور ورباطات وحمامات ومساجد واصطبلات لابن السبيل يستريح الناس بها فظلوا آمنين مطمئنين، وبذل الأموال الطائلة في بناء

المساجد، وبنى مساجد كثيرة في أرض الهند وعمر القديمة منها وجعل الأرزاق والرواتب للمساجد من بسط وسرج وغير ذلك، وأسس دور العجزة في أكثر البلاد زيادة على ما كان في العصور الماضية، والمارستانات في أكثر بلاده، وكان يرسل العطايا الجميلة إلى أهل الحرمين الشريفين زادهما الله شرفاً بعد سنة أوسنتين، ووظف خلقاً كثيراً من العلماء والمشايخ ليشتغلوا بالعلم والإفادة منقطعين فارغي القلوب عن هموم الدنيا، وكان يتصدق بتسع وأربعين ألفاً ومأة ألف في السنة غير ما يتصدق به في الأعياد والمواسم .

وكان مقتصداً في الخيرات غير مسرف في المال لا يعطي الشعراء شيئاً ولا لأهل الإيقاع والنغم خلافاً لأسلافه فإنهم كانوا يبذرون في المال تبذيراً كثيراً، وإذا وظف العلماء أوأقطعهم اشترط بالدرس والإفادة لكيلا يتخذوها ذريعة لأخذ المال فقط .

وكان مجبولاً على العدل والإحسان وفصل القضاء على وفق الشريعة المطهرة، أمر العلماء أن يدونوا المسائل والأقضية من كل باب من أبواب الفقه فدونوها وصنفوا الفتاوى العالمكيرية في ست مجلدات كبار اشتهرت في الأقطار الحجازية والمصرية والشامية والرومية، وعم بها

النفع وصارت مرجعاً للمفتين وأنفق على جمعها مأتى ألف من النقود وأمر القضاة أن يقضوا بها .

وكان يظهر كل يوم بدار العدل بعد الإشراق فيعرض عليه ناظر العدلية الأقضية فيحكم بما ألقى الله سبحانه في روعه ثم يطلب الناظر بالديوان الخاص فيعرض عليه المتظلمين فيستنطق المتخاصمين ويتأمل في الأقضية ويحكم بما أراه الله سبحانه .

وهوأول من وضع الوكالة الشرعية في دور القضاء فولى رجالاً من أهل الدين والأمانة في دور القضاء بكل بلدة وعمالة ليكونوا وكلاء عنه فيما يستغاث عليه في الحقوق الشرعية والديون الواجبة عليه وأجاز للناس أن يستغيثوا عليه عند القاضي، وهوأول من نصب المحتسبين في بلاده وامتاز في الملوك التيمورية في ذلك .

قال المحبي في خلاصة الأثر هوممن يوصف بالملك العادل الزاهد فإنه مع سعة سلطانه يأكل في شهر رمضان رغيفاً من خبز الشعير من كسب يمينه،ويصلى بالناس التراويح، وأمر من حين ولي السلطنة برفع المكوس والمظالم عن المسلمين، ونصب الجزية بعد أن لم تكن على الكفار وتم له ذلك مع أنه لم يتم لأحد من أسلافه أخذ الجزية منهم

لكثرتهم وتغلبهم على إقليم الهند، وأقام فيها دولة العلم وبالغ في تعظيم أهله وعظمت شوكته وفتح الفتوحات العظيمة، وهومع كثرة أعدائه وقوتهم غير مبال بهم مشتغل بالعبادات، وليس له في عصره من الملوك نظير في حسن السيرة والخوف من الله تعالى، والقيام بنصرة الدين .

توفي عالمكير في دكن في شهر ذى القعدة الحرام سنة ١١١٨هـ وأقام في الملك خمسين سنة .

(نزهة الخواطر للشيخ عبدالحي الحسني)

تجارة رابحة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهوالعزيز الحكيم، يآ أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون، إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص، وإذ قال موسى لقومه يقوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم، فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم، والله لا يهدى القوم الفاسقين، وإذ قال عيسى ابن مريم يبنى إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعده اسمه أحمد، فلما جآءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين، ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهويدعى إلى الإسلام، والله لا يهدى القوم الظلمين، يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم، والله متم نوره ولوكره الكافرون، هوالذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون.يآ أيها الذين آمنوا هل أدلكم على

تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنّت تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيِّبَة في جنّت عدن، ذلك الفوز العظيم، وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين، يآ أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله، قال الحواريون نحن أنصار الله، فآمنت طآئفة من بني إسرائيل وكفرت طآئفة فأيّدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ﴾

(الصف)

الشيخ نظام الدين اللكهنوي

الشيخ الإمام العالم الكبير، العلامة الشهير صاحب العلوم والفنون وغيث الإفادة الهتون العالم بالربع المسكون، أستاذ الأساتذة وإمام الجهابذة الشيخ نظام الدين بن قطب الدين بن عبد الحليم الأنصاري السهالوي ثم اللكهنوي الذي تفرد بعلومه وأخذ لواءها بيده، لم يكن له نظير في زمانه في الأصول والمنطق والكلام .

ولد بسهالي وتوفي والده مقتولاً وهو في الرابع عشر أوالخامس عشر من سنه، فانتقل إلى لكهنؤ مع صنوه الكبير محمد سعيد فأعطى عالمكير بن شاه جهان سلطان الهند قصراً بذلك المقام لأبناء الشيخ الشهيد يعرف بفرنكي محل، لأنه كان من أبنية تاجر أفرنكي، فلما اطمأن قلبه خرج من لكهنؤ وذهب إلى بلدة جائس وقرأ أكثر الكتب الدرسية على ملا علي قلي الجائسي ثم ذهب إلى بلدة بنارس وتلمذ على الحافظ أمان الله بن نور الله البنارسي وقرأ عليه شرح المواقف، ثم رجع إلى بلدة لكهنؤ وتلمذ على الشيخ غلام

نقشبند بن عطاء الله اللكهنوي وقرأ عليه الرسالة القوشجية في الهيئة، وقرأ فاتحة الفراغ وله خمس وعشرون سنة، ثم تصدى للدرس والإفادة فتكاثر عليه الطلبة وخضع له العلماء وطارت مصنفاته في حياته إلى الأمصار والبلاد وتلقى نظام درسه في مدارس العلماء بالقبول، واشتهر (بالدرس النظامي) وانتهت إليه رئاسة التدريس في أكثر بلاد الهند ..

وكان مع تبحره في العلوم وسعة نظره على أقاويل القدماء عارفاً كبيراً زاهداً مجاهداً شديد التعبد عميم الأخلاق حسن التواضع كثير المؤاساة بالناس، وكان لا يتقيد بتكبير العمامة وتطويل الأكمام والطيلسان، أخذ الطريقة القادرية عن الشيخ عبد الرزاق بن عبد الرحيم البانسوي وبايعه وله أربعون سنة .

قال السيد غلام علي البلكرامي في سبحة المرجان أنا دخلت لكهنؤ في التاسع عشر من ذي الحجة الحرام سنة ثمان وأربعين ومأة وألف، واجتمعت بالملا نظام الدين فوجدته على طريقة السلف الصالحين، يلمع على جبينه نور التقديس .

ومن مصنفات الشيخ نظام الدين شرحان على

مسلم الثبوت للقاضي محب الله الأطول والطويل، وشرح علىَ منار الأصول وشرح على تحرير الأصول لابن الهمام وشرح على المبارزية وحاشية على شرح هداية الحكمة للشيرازي، وحاشية على الشمس البازغة للجونبوري وحاشية على شرح العضدية للدواني وحاشية على الحاشية القديمة، وله المناقب الرزاقية كتاب بالفارسي في أخبار شيخه عبد الرزاق .

وأما تلامذته فإنهم كثيرون أجلهم السيد كمال الدين العظيم آبادي والسيد ظريف العظيم آبادي، والعلامة كمال الدين فتح بوري والشيخ غلام محمد البرهان بوري ومولانا حقاني التاندوي والشيخ عبد الله الأميتهوي والشيخ أحمد بن غلام نقشبند اللكهنوي وحمد الله بن شكر الله السنديلوي والشيخ عبد الرشيد الجونبوري المدفون بلكهنؤ والشيخ وجيه الدين الدهلوي، ومولانا غلام محمد عمر الشمس آبادي ومولانا غلام فريد المحمد آبادي ومولانا محمد المالكي التلمساني والسيد شاكر الله السنديلوي والشيخ محمد حسن بن غلام مصطفى وصنوه محمد ولي والشيخ أحمد عبد الحق بن محمد سعيد وولده ملك العلماء عبد العلي محمد وخلق كثير من الناس .

توفي يوم الأربعاء لثمان خلون من جمادي الأولى سنة ١١٦١هـ في حصاة المثانة وقد جاوز سبعين سنة .

(نزهة الخواطر للشيخ عبد الحي الحسني)

من الشنق إلى النفي

(١)

في اليوم الثاني من شهر مايوسنة ١٨٦٤م جلس أيدوردس القاضي الإنكليزي على كرسي في محكمة أنباله وجلس بجنبه أربعة من وجهاء البلد ليروا رأيهم في القضية، ووقف أمام هؤلاء أحد عشر رجلاً تنطق وجوههم وملامحهم بشرفهم وبراءتهم، ولكنهم من كبار الجناة والمجرمين، فإنه يقال إنهم دبروا مؤامرة ضد الحكومة الإنكليزية في الهند، وكانوا يساعدون أنصار السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد والمجاهد الجليل الشيخ إسماعيل الشهيد على حدود أفغانستان بالمال والرجال يرسلونها سراً من داخل البلاد بحكمة عجيبة، وكانوا وضعوا لمراسلاتهم لغة رمزية وكانوا يجمعون إعانات من رعايا الإنكليز أنفسهم ويرسلونها إلى مركز الثوار، عثرت على ذلك الحكومة بوشاية جندي مسلم في جنود الإنكليز وأسرتهم في بتنه وتهانيسر ولاهور وحاكمتهم، وهذا يوم يصدر فيه الحكم عليهم.

غصت المحكمة بالزائرين فقد كانت القضية حديث المجالس، وحان صدور الحكم فشخصت الأبصار وأصغت الآذان واضطربت القلوب وخفتت الأصوات، وإذا بالقاضي يتكلم في صوت الغضبان ويخاطب شاباً جميلاً قوياً يظهر أنه ربيب نعمة وسليل شرف.

"إنك يا جعفر رجل عاقل متعلم ولك معرفة حسنة بقانون الدولة وأنت عمدة بلدك ومن سراته، ولكنك بذلت عقلك وعلمك في المؤامرة والثورة على الحكومة وكنت واسطة في انتقال المال والرجال من الهند إلى مركز الثوار، ولم تزد إلا أن جحدت وعاندت، ولم تثبت أنك كنت مخلصاً وناصحاً للدولة وها أنا ذا أحكم عليكم بالإعدام ومصادرة جميع ما تملك من مال وعقار، ولا يسلم جسدك بعد الشنق إلى ورثتك بل يدفن في مقبرة الأشقياء بكل مهانة وسأكون سعيداً مسروراً حين أراك معلقاً مشنوقاً".

استمع الشاب في سكينة ووقار ولم يتغير ولم يضطرب، ولما انتهى القاضي من كلامه قال محمد جعفر: إن النفوس والأرواح بيد الله تعالى، يحيي ويميت، وإنك أيها القاضي لا تملك حياة ولا مماتاً ولا تدري من السابق منا إلى منهل الموت.

فوالله ما أدرى وإنى لصادق

على أينـــا تغـدوا المنية أول

ثـار الرجل غضباً وجـن جنونـه، ولكنـه قـد أطلق آخـر سهم من سهامه لا يملك غيره .

استبشر محمد جعفر حين صدر عليه الحكم وتهلل وجهه فرحاً وكأنما تمثلت له الجنة،وتمثلت له الحور والقصور، وتمثل ببيت الشاعر:

هذا الذي كانت الأيام تنتظر

فليـوف لله أقوام بما نذروا

فقضى الناس العجب مما رأوا ودنا إلى محمد جعفر ضابط إنكليزي يقال له بارسن، وقال له : لم أر كاليوم قد حكم عليك بالإعدام وأنت مسرور مستبشر قال محمد جعفر: وما لي لا أفرح ولا أستبشر وقد رزقني الله الشهادة في سبيله، وأنت يا مسكين لا تدري حلاوتها.

وحكم القاضي على رجلين آخرين بالإعدام أحدهما شيخ تلوح عليه سيما الصالحين وآية العابدين قد تلقى النبأ في سرور وشكر وهومولانا يحيى علي الصادقبوري أمير هذه الجماعة، والآخر شاب يظهر أنه من الأغنياء والتجار الكبار وأن أصله من بنجاب وهوالحاج محمد شفيع، وحكم

على الثمانية الباقية بالنفي المؤبد .

سمع الناس المجتمعون الحكم في حزن وأسف شديد وفاضت العيون وسالت الدموع، واجتمع الناس من رجال ونساء على جانبي الشارع إلى السجن ينظرون إلى هؤلاء البؤساء ويرثون لهم .

ووصلوا إلى السجن ونزعت ثيابهم وألبسوا ثياب المجرمين، وسجن كل واحد من الثلاثة في حجرة ضيقة مظلمة لا يدخل فيها الهواء ولا ينفذ فيها النور وباتوا فيها في حر شديد بشر ليلة بات بها قوم وجاءت بكرة برقية تسمح لهم بالمبيت في الميدان .

وفي النهار أعيدوا إلى حجراتهم الضيقة، وكان لا يمكن لأحد أن يعيش في مثل هذه الحجرة الضيقة مدة أسبوع، ففتح بابها وعين جندي ليحرس هؤلاء الجناة أكثرهم من الكفار فكان مولوي يحيى علي يغتنم الفرصة ويأتي بأسوة يوسف الصديق عليه السلام ويخاطب الحارس ويقول :﴿ أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ﴾ فيظل الرجل باكياً فإذا نقل من مكانه حزن حزناً شديداً.

وهكذا غرس الشيخ في قلوب كثير من أصحاب السجن عقيدة التوحيد وبذر فيها بذور الإيمان وكم من

رجال أسلموا، وكم من ناس تابوا، وكان الشيخ لايضيع فرصة. فإذا صادف أحداً أمره بالمعروف ونهاه عن المنكر.

وبدأ زبانية السجن يضعون لهؤلاء حبلاً وعوداً للشنق على مرأى منهم ومسمع، وهؤلاء يرون كل ذلك مطمئنين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

أما مولانا يحيى على فهومن أشد الناس فرحاً كأنه من شوق الجنة في الجنة ومن انتظار النعيم في النعيم، ينشد الأبيات في حنين ووجد، ويتمثل بما قال سيدنا خبيب رضى الله عنه عند شنقه.

ولست أبالي حين أقتل مسلماً
على أي شق كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ
يبارك على أوصال شلو ممزع

وكذلك رفقته، وجوه ضاحكة مستبشرة ونفوس هادئة مطمئنة، وقلوب راضية مسرورة، خشوع في الصلاة وعبادة في نشاط وذكر وتسبيح وتلاوة آيات وحنين ووجد، وإنشاد أبيات.

من الشنق إلى النفي

(٢)

مات القاضي الإنكليزي الذي حكم على هؤلاء الثلاثة بالإعدام فجأة على إثر الحكم وجن الضابط الإنكليزي بارسن الذي ألقى القبض على محمد جعفر وضربه يوماً من الساعة الثامنة صباحاً إلى الساعة الثامنة مساءاً، ومات في جنونه شرميتة. فكان كما أنذر محمد جعفر ﴿ رب أغبر أشعث لوأقسم على الله لأبره ﴾.

وكان يدخل إلى السجن كثير من الإنكليز والإفرنجيات يتفرجون على هؤلاء السجناء ويشمتون بمصير الأعداء وكانوا يقضون العجب من سرورهم ونشاطهم ويسألونهم لماذا لا تحزنون يا هؤلاء وأنتم على عتبة الموت وعلى موعد من الشنق ؟ ! فيجيبونهم : هذا لأجل الشهادة التى ليس فوقها نعمة وسعادة.

ويرجعون إلى الحكام الإنكليز ويحدثونهم بمارأوا وبما سمعوا فيزدادون غيظاً على غيظ، ولكن ماذا يصنعون ؟

إنهم إذا أطلقوهم فقد أطلقوا أعداءاً قد ثاروا على الدولة وإنهم سيرجعون إلى ذلك، وإذا شنقوهم وقتلوهم فقد بلغوهم أملهم واجتهدوا في سرورهم .

قد عز على الإنكليز كل ذلك ولم تطب أنفسهم به، فكروا في القضية وفكروا ووجدوا طريقاً وسطاً بين القتل والإطلاق، والإنكليز أمة قانونية ذكية .

في يوم من الأيام جاء حاكم المدينة الإنكليزي إلى السجن وتلا على الثلاثة المحكومين عليهم بالإعدام حكم محكمة الاستئناف .

" إنكم أيها الثوار تحبون الشنق وتعدونه شهادة في سبيل الله ولا نريد أن نبلغكم أملكم وندخل عليكم السرور، فننسخ حكم الإعدام ونحكم عليكم بالنفي المؤبد إلى جزائر سيلان .

وهنا قصت لحاهم وشعر رؤسهم، وكان مولانا يحيى على يرفع الشعر ويخاطب لحيته المقصوصة ويقول :

في سبيل الله ما لقيت

وشنق إنكليزي يحبل وعود قد أعد لأولئك المسلمين فانعكست القضية .

وأمر المسجونون بالاشتغال بأعمال شاقة، وأمر

مولانا يحيى على بنزع الدلاء من بئر، وكانت كبيرة وثقيلة لا ينزعها الشبان الأقوياء إلا بشق الأنفس، والأستاذ شيخ ضعيف، وكان اليوم صائفاً شديد الحر فنزفه الدم في بوله ولكنه استمر في شغله صابراً محتسباً لا يشكوولا يئن، ثم نقل إلى عمل سهل، فكان يقوم به بأمانة ونصيحة، ويوصي المسجونين الآخرين بذلك أيضاً ويقول لهم: إذا كنتم تتمتعون هنا بطعام ولباس فما بالكم لا تؤدون وظيفتكم بأمانة ونصيحة.

ولم يزل الشيخ في السجن آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر داعياً إلى الله واعظاً مرشداً، فتاب كثير من المجرمين وأنابوا إلى الله.

ونقل الشيخ من أنباله إلى لاهور وأقام في سجنه عاماً كاملاً، وكان هنالك الجناة واللصوص وقطاع الطريق والفساق، فكان يقبح لهم الجنايات والفسوق والعصيان، ويزين لهم الدين والتقوى والعفاف، ويحثهم على الطاعة والتوبة والإنابة وإصلاح الحال، ويدعوهم إلى التوحيد والمحافظة على الصلاة والصيام، ويحذرهم من عذاب الله ونقمته فتاب كثير من اللصوص وقطاع الطريق، وحسن حالهم وأخلصوا لله الدين وتابوا وأقاموا الصلاة.

وكان من هؤلاء رجل من بلوجستان وكان شديد البطش جباراً، وقد سطا بخدم السجن مراراً وضربهم بسلاسله وكان لا يقوم بأعماله ووظائفه، وقد عوقب عقاباً شديداً فلم يتب ولم يكن، وقد يئس منه زبانية السجن وقطعوا منه الرجاء، وصادف مبيته مرة بالقرب من الشيخ وأثر كلامه في قلبه فحسن حاله وصار يؤدى وظيفته وفكت سلاسله وأغلاله فصار يحافظ على الصلوات الخمس، ويبكى خوفاً من الله ومن رآه شهد بأنه ولى من أولياء الله .

ولم يزل الشيخ ورفقته ينتقلون من سجن إلى سجن ومن محبس إلى محبس، حتى وصلوا الثامن من ديسمبر سنة ١٨٦٥م إلى بورت بلير من جزائر إندمان، ومات الشيخ هنا بعد عامين قضاهما في عبادة ودين ودعوة الخلق إلى الله، وكان ذلك لعشرين من فبراير سنة ١٨٦٨م .

أما الشيخ محمد جعفر فقد صدر الحكم بالعفوعنه وإطلاقه في الثاني والعشرين من يناير سنة ١٨٨٣م بعد ما لبث في السجن ثمانية عشر عاماً.

(من إذا هبت ريح الإيمان - للمؤلف)

الشيخ عبدالعزيز الدهلوي

الشيخ الإمام العالم الكبير العلامة المحدث عبد العزيز بن ولي الله بن عبد الرحيم العمري الدهلوي سيد علمائنا في زمانه وابن سيدهم، لقبه بعضهم سراج الهند وبعضهم حجة الله .

ولد ليلة الخميس لخمس ليال بقين من رمضان سنة ١١٥٩هـ، حفظ القرآن وأخذ العلم عن والده فقرأ عليه بعضاً وسمع بعضاً آخر بالتحقيق والدراية والفحص حتى حصلت له ملكة راسخة في العلوم، ولما توفي أبوه إلى جوار رحمة الله تعالى ورضوانه وله ست عشرة سنة أخذ عن الشيخ نور الله البرهانوي والشيخ محمد أمين الكشميري، وأجازه الشيخ محمد عاشق بن عبيد الله البهلتي وكانوا من أجلة أصحاب والده فاستفاد منهم ما فاته على أبيه .

كان رحمه الله أحد أفراد الدنيا بفضله وآدابه وعلمه وذكائه وفهمه وسرعة حفظه، اشتغل بالدرس والإفادة وله خمس عشرة سنة فدرس وأفاد حتى صار في الهند العلم المفرد، وتخرج عليه الفضلاء وقصدته الطلبة من

أغلب الأرجاء وتهافتوا عليه تهافت الظمآن على الماء، هذا وقد اعترته الأمراض المؤلمة وهوابن خمس وعشرين فأدت إلى المراق والجذام والبرص والعمى ونحوذلك حتى عد منها أربعة عشر مرضاً مفجعاً، ومن ذلك السبب فوض تولية التدريس في مدرسته إلى صنويه رفيع الدين وعبد القادر، ومع ذلك كان يدرس بنفسه النفيسة أيضاً ويصنف ويفتي ويعظ، ومواعظه كانت مقصورة على حقائق التنزيل في كل أسبوع يوم الثلاثاء، وكان في آخر عمره لا يقدر أن يقعد في مجلس ساعة فيمشي بين مدرسته القديمة والجديدة، ويشتغل عليه خلق كثير في ذلك الوقت فيدرس ويفتي ويرشد الناس إلى طريق الحق، وكذلك يمشي بين العصر والمغرب ويذهب إلى الشارع الذي بين المدرسة وبين الجامع الكبير فيتهادى بين الرجلين يميناً وشمالاً، ويترقب الناس قدومه في الطريق ويستفيدون منه في مشكلاتهم، ومن الأمراض المؤلمة فقدان الاشتهاء إلى حد يقضي أياماً وليالى لا يذوق طعم الغذاء حتى صار الأكل غباً بطريق النوبة كالحمى.

وكان مع هذه الأمراض المؤلمة والأسقام المفجعة لطيف الطبع حسن المحاضرة جميل المذاكرة فصيح المنطق مليح الكلام ذا تواضع وبشاشة وتودد لا يمكن الإحاطة

بوصفه، ومجالسه هي نزهة الأذهان والعقول مما لديه من الأخبار التي تنشف الأسماع والأشعار المهذبة للطباع والحكايات عن الأقطار البعيدة وأهلها وعجائبها بحيث يظن السامع أنه قد عرفها بالشهادة، ولم يكن الأمر كذلك فإنه لم يعرف غير كلكتة ولكنه كان باهر الذكاء قوي التصور كثير البحث عن الحقائق فاستفاد ذلك بوفود أهل الأقطار البعيدة إلى حضرة دهلي، ولأنه قد صنف الناس في الأخبار مصنفات يستفيد بها مما يقرب من المشاهدة.

وكان الناس يقصدونه ليستفيدوا من علمه والأدباء ليأخذوا من أدبه ويعرضوا عليه أشعارهم، والمحاويج يأتونه ليشفع لهم عند أرباب الدنيا ويواسيهم بما يمكنه، وكرمه كلمة إجماع، والمرضى يلوذون به لمداواتهم، وأهل الجذب والسلوك يأتونه ليقتبسوا من أشعة أنواره، وغرباء الديار من أهل العلم والصلاح ينزلهم ويحسن مثواهم ويفضل عليهم بما يحتاجون إليه، ويسعى في قضاء أغراضهم ونيل مطالبهم، وإذا جالسه منحرف الأخلاق أومن له في المسائل الدينية بعض شقاق جاء من سحر بيانه بما يؤلف بين الماء والنار ويجمع بين الضب والنون فلا يفارقه إلا وهوعنه راض.

قال الشيخ محسن بن يحيى الترهتي في (اليانع الجني)

إنه قد بلغ من الكمال والشهرة بحيث ترى الناس في مدن أقطار الهند، يفتخرون باعتزائهم إليه بل بانسلاكهم في سمط من ينتمي إلى أصحابه .

قال ومن سجاياه الفاضلة الجميلة التي لا يدانيه فيها عامة أهل زمانه قوة عارضته، لم يناضل أحداً إلا أصاب غرضه وأصمى رميته وأحرز خصله ومن ذلك براعته في تحسين العبارة وتحبيرها والتأنق فيها وتحريرها حتى عده أقرانه مقدماً من بين حلبة رهانه، وسلموا له قصبات السبق في ميدانه، ومنها فراسته التي أقدره الله بها على تأويل الرؤيا فكان لا يعبر شيئاً منها إلا جاءت كما أخبر به كأنما قد رآها، وهذا لا يكون إلا لأصحاب النفوس الزاكيات المطهرة عن أدناس الشهوات الردية وأرجاسها وكم له من خصال محمودة وفضائل مشهودة، وجملة القول فيه إن الله تبارك وتعالى قد جمع فيه من صنوف الفضل وشتاته التي فرقها بين أبناء عصره في أرضه ما لورآه الشاعر الذي يقول :

ولم أر أمثال الرجال تفاوتاً

لدي المجد حتى عد ألف بواحد

استبان له مثل ضوء النهار أنه وإن كان عنده أنه قد

بالغ فيه فإنه قد قصر، فكيف الظن بأمثالي أن يحسن عد مفاخره التي أكثر من حصى الحصباء ومن نجوم السماء، انتهى:

وكان طويل القامة نحيف البدن أسمر اللون أنجل العينين، كث اللحية، وكان يكتب النسخ والرقاع بغاية الجودة، وكانت له مهارة في الرمي والفروسية والموسيقي، وللشيخ عبد العزيز مؤلفات كلها مقبولة عند العلماء محبوبة إليهم يتنافسون فيها ويحتجون بترجيحاته وهوحقيق بذلك، وفي عبارته قوة وفصاحة وسلاسة تعشقها الأسماع وتلتذ بها القلوب، ولكلامه وقع في الأذهان قل أن يمعن في مطالعته من له فهم فيبقى على التقليد بعد ذلك، وإذا رأى كلامًا متهافتاً زيفه ومزقه بعبارات عذبة حلوة .

وأما مصنفاته فأشهرها تفسير القرآن المسمي بفتح العزيز صنفه في شدة المرض ولحوق الضعف إملاءاً وهوفي مجلدات كبار ولكنها ضاع معظمها في ثورة الهند وما بقي منها إلا مجلدان من أول وآخر، ومنها الفتاوى في المسائل المشكلة ومنها (تحفة اثنا عشرية) في الكلام على مذهب الشيعة كتاب لم يسبق مثله، ومنها كتابه بستان المحدثين وهوفهرس كتب الحديث وتراجم أهلها ببسط وتفصيل

ولكنه لم يتم، ومنها (العجالة النافعة) رسالة له بالفارسية في أصول الحديث وله غير ذلك من الرسائل.

وأما مصنفاته في المنطق والحكمة فمنها حاشية على (ميرزاهد رسالة) وحاشية على (ميرزاهد ملا جلال) وحاشية على (ميرزاهد شرح المواقف) وحاشية على (حاشية ملا كوسج) المعروفة بالعزيزية، وحاشية على شرح هداية الحكمة للصدر الشيرازي.

وله شرح على أرجوزة الأصمعي وله مراسلات إلى العلماء والأدباء وتخميس نفيس على قصيدتي والده البائية والهمزية.

وكان نسيج وحده في النظم والنثر وقوة التحرير وغزارة الإملاء وجزالة التعبير، وكلامه عفو الساعة وفيض القريحة، ومسارعة القلم ومسابقة اليد.

توفي بعد صلاة الفجر يوم الأحد لسبع خلون من شوال سنة ١٢٣٩هـ وله ثمانون سنة، وقبره بدهلي عند قبر والده خارج البلدة.

(نزهة الخواطر - للشيخ عبد الحي الحسني)

دار العلوم ديوبند ومدرسة مظاهر العلوم

انقرضت دولة المسلمين في الهند، ورسخت قدم الإنكليز في أرضها سنة ١٨٥٧م فانبث القسوس والأحبار في القرى والمدن يدعون الناس إلى النصرانية ويناظرون علماء المسلمين بسلطان دولتهم ويغرسون في قلوب العامة الشك والزيغ، وقام بعض المسلمين الذين دخلهم الرعب يدعون إلى تعلم اللغة الإنكليزية وآدابها على علاتها، ويرون في ذلك دواءاً لكل داء، وتدرجوا إلى دعوة تقليد الحضارة الغربية ومحاكاة سادة البلاد في كثير من أخلاقهم وأساليب حياتهم، فكان المسلمون بين خطرين خطر الارتداد وخطر الإلحاد.

وكانت المدارس الدينية وحلقات التدريس التي تخرج منها أئمة وعلماء كبار في احتضار تلفظ نفسها الأخير لعدم حماية الدولة وقلة رغبة الناس في العلوم الدينية، وكان كلما تعطلت مدرسة لم تخلفها مدرسة، وكلما مضى عالم أو أستاذ كبير لم يخلفه آخر، والمدارس الرسمية

تزداد كل يوم عدداً وتتمتع بحماية الدولة ومساعدة الجمهور.

هذا وقد نشط دعاة البدع والخرافات والمحترفون الذين انتشروا في القرى والمدن يدعون إلى رسوم الجاهلية والمحدثات، ويأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدون عن سبيل الله، ويضللون العلماء الأخيار ويكفرونهم.

خاف علماء الحق على الدين وعلى علوم الدين، وخافوا على مستقبل الإسلام في بلاد الهند بعد زوال دولته وحلول دولة الكفار، ورأوا أنهم لا تنجدهم دولة، ولا تحميهم قوة، ولا يملكون أموالاً ينفقونها ولا مناصب ووظائف يجذبون الناس إليها، وإنما هم مستضعفون في الأرض، فقراء، ثروتهم العلم، ورأس مالهم الدين، وزادهم التوكل، وسلاحهم الإخلاص، فقاموا وقالوا نبني معقلاً للدين تأوي إليه الشريعة الإسلامية، وتلجأ إليها العلوم الدينية.

في قرية ديوبند من القرى التابعة لمدينة سهارن فور في مسجد صغير اجتمعت عصابة من أهل الغيرة والفراسة من العلماء الربانيين أكثرهم من تلاميذ بيت الإمام ولي الله الدهلوي وأصحاب الشيخ الكبير إمداد الله التهانوي المكي على رأسهم الشيخ الكبير مولانا محمد قاسم النانوتوي (م١٢٩٨هـ) وأسسوا تحت شجرة رمان هنالك مدرسة

دينية، كان ذلك سنة ١٢٨٣ للهجرة النبوية .

افتتحت المدرسة بمعلم واحد هوالملا محمود الديوبندي وتلميذ واحد وهوالشيخ محمود حسن الديوبندي، فكان يوماً مشهوداً محموداً في تاريخ الهند الديني .

بدأت المدرسة بإعانة فقراء المسلمين وعامتهم، ورزقت من أول يومها رجالاً عاملين مخلصين وأساتذة خاشعين متقين، قد تولى الإشراف على شؤونها أمثال العالم الرباني الشيخ الكبير مولانا رشيد أحمد الكنكوهي والشيخ رفيع الدين الديوبندي، والمصلح الجليل والمؤلف الكبير الشيخ أشرف على التهانوي، وتولى رئاسة التدريس فيها أمثال الشيخ الصالح محمد يعقوب النانوتوي والعالم الرباني الشيخ محمود حسن الديوبندي والعالم الضليع الشيخ أنور شاه الكشميري، والمجاهد الشهير مولانا حسين أحمد المدني، فسرت روح التقوى والإحتساب والتواضع والخدمة في هذه الدار، فإذا زارها أحد في دورها الأول حسب أنه في زاوية عامرة من زوايا الصوفية .

ولم يزل نطاق المدرسة يتسع وصيتها يذيع وشهرة أساتذتها في الصلاح والتقوى والتبحر في علم الحديث والفقه تطير في العالم حتى أمها الطلبة من أنحاء الهند ومن

الأقطار الإسلامية الأخرى، حتى بلغ عددهم في الزمن الأخير إلى خمس مأة وألف وزيادة، وبلغت ميزانيتها إلى ثلاث مأة ألف وخمسين ألف روبية سنويًا .

ويقدر عدد الذين اشتغلوا في هذه المدرسة بالعلم بأكثر من عشرة آلاف، وا لذين نالوا الشهادة منها بنحوخمسة آلاف، والذين ارتووا بمناهلها من أهل خارج الهند كياغستان وأفغانستان وخيوا وبخارا وقازان وروسيا وآذربائيجان، وا لمغرب الأقصى وآسيا الصغرى وتبت، والصين وجزائر بحر الهند، والحجاز والعراق والبلاد الشامية واليمن نحوخمسمائة .

وكان للمتخرجين من دارالعلوم تأثير كبير في حياة المسلمين الدينية في الهند وفضل كبير في محوالبدع وإزالة المحدثات وإصلاح العقيدة والدعوة إلى الدين واتباع السنة، ومناظرة أهل الضلال والرد عليهم، وكانت لبعضهم مواقف محمودة في السياسة والدفاع عن الوطن، وكلمة حق عند سلطان جائر.

ولدار العلوم مكتبة كبيرة تحتوى على مأة ألف كتاب، كثيرمنها مكرر للدرس، وفيها عدد من الكتب الخطية.

وشعار دار العلوم التمسك بالدين والتصلب في المذهب وعدم العدول عنه، وا لمحافظة على القديم والدفاع عن السنة، والانتصار لرهط الإمام ولي الله الدهلوي .

وقد تمكست بالدرس النظامي على علاته، وعضت عليه بالنواجذ، وقد بدأت أخيراً دعوة التغيير والإصلاح في منهاج التعليم، ولعل الله يحدث بعد ذلك أمراً .

(٢)

وفي نفس سنة ١٢٨٣هـ بعد افتتاح دار العلوم ديوبند ببضعة أشهر افتتح رجال من أهل العلم والدين (في مقدمتهم مولانا سعادت على السهارنبوري الفقيه المشهور (م١٢٨٦هـ) من بقية رهط السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد) مدرسة ثانية في سهارن بور، وكان مولانا سعادت على يدرس الطلبة في بيته وكان يتمنى أن تتأسس مدرسة نظامية في البلد وكثيراً ما كان يتحدث بذلك، وفي شهر رجب من العام المذكور حقق الله أمنيته فقام رجال من أهل الصلاح والعلم من أصدقائه ومعارفه في المدينة وضواحيها وافتتحوا مدرسة في حي من أحياء البلد في مسجد وولوا الشيخ سخاوت على الأمبيتهوي التدريس فيها، وبقي مولانا سعادت على يدرس بعض الدروس

ويشرف على شؤون المدرسة، وآل الإشراف على المدرسة بعد وفاته إلى الشيخ فضل الرحمن قاضي البلد.

وفي شوال في العام المذكور تولى رئاسة التدريس الأستاذ الكبير مولانا محمد مظهر النانوتوي، وبه تسمت المدرسة بمظهر العلوم وزيدت فيها ألف لتنم عن عام بناء بناية المدرسة الخاصة بها يعني عام ١٢٩٣هـ على حساب الجمل، وانتقلت المدرسة من المسجد إلى هذه البناية في شوال، وفي اليوم الثامن من هذا الشهر عقد أصحاب المدرسة حفلة بمناسبة افتتاحها في بنايتها الجديدة خطب فيها الشيخ الكبير مولانا محمد قاسم النانوتوي خطبة رقيقة بليغة استغرقت ثلاث ساعات.

وفي سنة ١٢٩٣هـ أيضاً بدأ المحدث الكبير الشيخ أحمد على السهارن بوري صاحب حاشية البخاري الشهيرة يدرس كتب الحديث في المدرسة ويشرف على شؤونها، وبعد وفاة الشيخين أحمد على وسخاوت على (عام ١٢٩٧هـ و١٣٠٢هـ) تداول التدريس فيها مولانا عبدالعلي الميرتهي ومولانا حبيب الرحمن بن الشيخ أحمد علي حتى تبوأ رئاسة التدريس الشيخ الصالح والأستاذ الكبير مولانا خليل أحمد الأنبيتهوي صاحب بذل المجهود سنة ١٣١٤هـ

فأخذت المدرسة زخرفها وبلغت أوجها في كثرة الطلبة وانتشار الصيت وانتظام الدروس .

وفي سنة ١٣٢٦هـ جاء الشيخ محمد يحيى الكاندهلوي من أنجب تلاميذ الشيخ الكبير مولانا رشيد أحمد الكنكوهي والمعروف بذكائه وإبداعه فكان مساعداً للشيخ خليل أحمد رحمه الله .

وفي شوال سنة ١٣٤٤هـ لما رحل الشيخ خليل أحمد إلى الحجاز تولى رئاسة التدريس مولانا عبد الرحمن الكامل فوري، والإشراف على المدرسة مولانا عبد اللطيف السهارن بوري، وتولى تدريس الحديث فيها تلميذ الشيخ خليل أحمد البارع مولانا محمد زكريا بن يحيى الكاندهوي صاحب أوجز المسالك .

ولم تزل مدرسة مظاهر العلوم متمتعة من أول يومها بحماية أعلام الهند في الدين والصلاح كالعالم الرباني الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي والشيخ أشرف على التهانوي والشيخ عاشق إلهي الميرتهي والشيخ محمد إلياس الكاندهلوي والشيخ عبد القادر الرائي بوري، وحازت ثقة المتدينين فكانت تلو معهد ديوبند في كثرة الطلبة ونبوغ الأساتذة،وقد خرجت عدداً كبيراً من العلماء الصالحين

والرجال العاملين في ميادين العلم والدين .

ولعلماء مدرسة مظاهر العلوم آثار جليلة في شرح كتب الحديث وخدمة الفن الشريف، من أجلها بذل المجهود في شرح سنن أبي داؤد للشيخ خليل أحمد، وأوجز المسالك في شرح المؤطا للإمام مالك للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي.

وتمتاز مدرسة مظاهر العلوم وأساتذتها وطلبتها ببساطة في المعيشة والقناعة بالكفاف وحسن السمت والتواضع والإقبال الكلي على العلم والدرس والاشتغال بخاصة النفس .

من النجوم إلى الأرض

(١)

درست في المدرسة أمس أن النور يقطع مأة ألف وستة وثمانين ميلاً في ثانية، وأنه يمكن له أن يطوف حول خط الاستواء سبعة أشواط في أقل من ثانية.

وسمعت أن من النجوم ما لا يصل ضوؤه إلى الأرض إلا في ألفي عام ومنها ما لا يصل ضوؤه إلا في أكثر من ذلك وأن ضوء بعض النجوم منذ طلعت لا يزال في طريقه إلى الأرض ولما يصل إليها.

لي غرام شديد بالتاريخ، ولا أزال أطالعه برغبة عظيمة وأتمثله أمام عيني، كأن الحوادث واقعة والأشخاص أحياء ولا أزال أتأسف على ما فاتني من مشاهدة الحوادث في ساعتها ومن زيارة رجال من عظماء التاريخ في زمانهم، ولم أزل منذ صباى أقول لوالدي وأصدقائي يا ليتني ولدت في الزمن الماضي فشاهدت كذا وكذا من الوقائع، وزرت فلاناً وفلاناً من الرجال، لقد غاب عني طوفان نوح، ومحنة إبراهيم، وخروج بني إسرائيل، وسبقتني بعثة الرسول

عليه الصلاة والسلام بأكثر من ألف عام، وفاتنى عهد الخلافة الراشدة.وفاتتنى حضارة بغداد وعهد قرطبة وغرناطة وفاتنى وفاتنى وفاتنى .

وكنت أعد الحوادث الكبيرة والرجال العظماء وأقول في حزن وأسف: لقد تأخرت كثيراً، فليت الزمان يعود، وليت البشر يستأنفون السفر، وليت العالم يرجع القهقرى، وليت التاريخ يرد على أعقابه، فأشاهد ما مضى وأعاشر من سبق .

وكنت أفكر لوكان أحد فوق نجم لا يصل ضوؤه إلى الأرض إلا في آلاف أومآت من السنين لرأى العالم كما كان قبل آلاف أومآت من السنين، وكذلك يمكن أن يطالع أهل النجوم أدوار التاريخ الماضية ويشاهدوا الحوادث والأشخاص في زمنهم وفي محلهم .

سررت من ذلك جداً كأنى وجدت ضالتي وعرضت هذه الفكرة البديعة على معلم الطبيعيات لأنى لا آمن على نفسي الخطأ .

قال المعلم نعم إذا فرضنا أحداً فوق الشمس - وهي تبعد من الأرض ثلاثة وتسعين مليوناً - فإنه يرى في الأرض ما وقع قبل ثماني ثوان فقط فإن ضوء الشمس يصل إلى

الأرض في ثماني ثوان .

وهكذا نتدرج ونقول من كان فوق النجوم العالية التي يصل ضوؤها إلى الأرض في آلاف من السنين لكانوا يرون حوادث قبل التاريخ وما وقع قبل آلاف من السنين بعد آلاف من السنين .

لم أزل أفكر في ارتفاع النجوم وبعدها عن الأرض ومطالعة أهلها لما وقع في الأرض حتى لم أشعر إلا وأنى في مكان أطالع فيه الأرض بمكبرة كبيرة .

فإذا بي أرى الأرض غير الأرض التي كنت أعرفها والناس غير الذين عهدتهم، أرى المساجد عامرة غاصة بالمصلين، وأرى الحدود قائمة وأحكام الشرع نافذة وأجيل مكبرتي وأنظر من خلالها فلا أرى فجوراً ولا دعارة ولا سكراً ولا قماراً .

واطلعت على بقعة فيها نخل كثيرة ومسجد بسيط قد غشيته سحابة من النور والبركة، وعرفت أنها مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ورأيت بيوتاً متواضعة قد بني أكثرها من اللبن، ولكني رأيت هنالك سفراء الدول الكبيرة وأبناء ملوك قد أسلموا، فعرفت أن هذه المدينة الصغيرة مع بساطتها تحكم العالم ويجبى إليها خراج إيران وروما .

وبحثت في هذه المدينة فلم أجد فيها محكمة ولا سجناً فقلت في نفسي فأين يذهب المتخاصمون وأين يحبس المجرمون؟ فإذا بي أرى رجلاً جالساً في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم في ثياب مرقوعة ألقيت عليه مهابة وجلال، قد حضر لديه خصمان ورفعا إليه القضية في بساطة الأعراب، وقالا : " خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط، واهدنا إلى سواء الصراط .

سمع الرجل القضية في هدوء وتأن وقال للمدعي "البينة على من ادعى واليمين على من أنكر" فهل عندك بينة أوأستحلف الرجل ؟ وقدم الرجل شهوداً عدولاً فقضى له وانفصلت القضية في ساعة، وقام الفريقان ورضيا بحكم الشرع، فقلت : ولايحتاج هؤلاء إلى محكمة ومحامين .

ورأيت أبواب البيوت في الليل مفتوحة، ورأيت بيت المال وقد أتى إليه خراج إيران في ذلك اليوم ليس له حارس ولا شرطة، وقد جاء تاج كسرى وهويساوى مآت آلاف من الدنانير وقد وقع إلى جندي حقير فأداه إلى أمير الجند، وأرسله أمير الجند إلى الخليفة وجاء بعض السراق وسرقوا فقطعت أيديهم، فقلت لا يحتاج هؤلاء إلى سجن أومحبس.

وأشرفت على بيوتهم فوجدت معيشة صافية وحياة

راضية لا يكدرها حسد، ولا بغضاء ولا طمع ولا جشع، يؤثرون على أنفسهم ولوكان بهم خصاصة، ويهدي جار إلى جار فتدور الهدية على الحي وترجع إلى صاحبها الأول، لا يأكل فيهم القوى الضعيف ولا يظلم الكبير منهم الصغير ويحنو عليهم الخليفة والأمراء فهم لهم كالآباء ويطيعهم العامة ويوقرونهم وينصحون لهم فهم لهم كالأبناء، ويتناصحون بينهم فهم إخوة ..

واطلعت على ثكناتهم - وسمعت أن الجند أفسد الناس أخلاقاً وأبعدهم عن الدين والفضيلة في كل زمان - فوجدتهم بالليل رهباناً لهم دوي كدوي النحل، وأما بالنهار ففرسان، يثقفون القنا ويريشون النبل، يوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، لا يأكلون في ذمتهم إلا بثمن ولا يدخلون إلا بسلام، ويعفون عن المحارم ويغضون البصر، فقلت إذا كان الجند فيهم هكذا فكيف بالعباد الزهاد.

قلت لعل هذا دور الخلافة الراشدة، وصدقت ما قرأت في التاريخ، وقلت ذلك قليل من كثير.

من النجوم إلى الأرض

(٢)

ونزلت أسفل من ذلك المكان فرأيت الأمور قد تغيرت وأن العاصمة قد تحولت من المدينة - على ساكنها ألف ألف سلام - إلى دمشق الشام، فإذا قصور عالية قد علقت على أبوابها ستور جميلة وكسيت جدرانها بثياب فاخرة، وإذا مساجد شامخة تناطح منارتها السماء وهي عامرة بالمصلين، ورأيت فيها حلقات الدرس ومجالس العلم وهي غاصة بطلبة علم الدين، والشيوخ يحدثون عن النبي صلى الله عليه وسلم والناس يكتبون ويحفظون.

ورأيت الناس أنواعاً منهم الزهاد والعباد وطلبة العلم ومنهم المترفون، ورأيت آثار الحرية والترف ورأيت الناس طبقات في الغنى والثروة والجاه والشرف، فهذا ابن الخليفة في زهوه وخيلائه، وذلك عامل العراق في خدمه وحشمه، وهذا سوقي وذلك شريف .

ورأيت بعض الحدود قائمة وبعض أحكام الشرع

نافذة، ورأيت العلماء وأهل الدين يحتسبون على الناس متطوعين فيخضعون لهم ويستسلمون، ورأيت الناس غير مجاهرين بالفسق، غير مصرين على المعصية يحتشمون أهل الدين والعلم.

ورأيت الخليفة والأمير مع ترفه يصلي بالناس ويخطب فيهم ويجلس لهم ورأيت مدينة عربية فالخلفاء يصلون الشعراء بجوائز كبيرة، وينحرون جزوراً ويطعمون الناس، ورأيت دولة المسلمين قد اتسعت حتى امتدت إلى حدود الهند في جانب، وإلى ساحل البحر الاطلانتيكي في جانب آخر لا تقطع في أقل من خمسة أشهر على أسرع جمل .

فقلت لعل هذا عصر الأمويين ولعلي في نهاية القرن الأول .

ثم انحدرت إلى أسفل، فرأيت مدينة حديثة على ضفتي دجلة ورأيت مدينة خليطًا، فيها صور عربية وفيها صور عجمية، والناس أخلاطاً فيهم العرب وفيهم الفرس وفيهم أهل الهند وكثير منهم الترك، ورأيت قصر الخليفة مثل قصور ملوك العجم يحرسه الترك، وكذلك قصور الوزراء والأمراء، ورأيتهم يخرجون في مواكب ملوكية في أبهة عظيمة.

ورأيت بعض الناس يربون الحمام ويشترونه بأثمان غالية ويتهارشون بالديوك والكلاب، ورأيت أنواع اللهوواللعب. فقلت جاء هذا من كثرة الأموال واختلاط الأعاجم.

ورأيت القضاة وقاضي القضاة قد ازدحم عليه المتظلمون وهويقضى بينهم وقد تأخذ قضية أياماً، ورأيت السجون قد غصت بالمجرمين واللصوص والشطار.

ورأيت كذلك مساجد مزدحمة بالمصلين، ومدارس غاصة بطلبة علوم الدين، ومجالس الوعظ عامرة بالمستمعين،ورأيت الناس يجزون نواصيهم ويخرون مغشياً عليهم ويتوبون عن المنكرات، ويسلم كثير من أهل الذمة كل جمعة، فقلت إن الناس لم يفقدوا قلوبهم وإن الدين لا يزال له سلطان على القلب والروح .

ورأيت كذلك رجالاً منقطعين عن الدنيا معرضين عن الملوك وجوائزهم وصلاتهم، يأتي إليهم الناس من خراسان والهند وإيران ويستفيدون، وتأتيهم الدنيا راغمة ويأتيهم الملوك والأمراء صاغرين، فرأيت دولة دينية تزاحم الدولة المادية وتفوقها في العزة والسلطان .

ورأيت أكبر دولة على وجه الأرض ينظر ملكها

أوالخليفة - كما يقول الناس في تلك البلاد - إلى سحابة فيقول: "أمطرى حيث شئت فسيأتيني خراجك".

فقلت هذه بغداد عاصمة الدولة العباسية ولعلي في القرن الثالث.

وحانت مني التفاتة إلى خليج جبل الطارق فرأيت على ضفته مدينة زاخرة العمران شامخة البنيان، ورأيت فيها قصوراً متسقة وحدائق متناسبة وشوارع مرصوفة وعيونًا متدفقة وجسوراً منصوبة ومساجد مزخرفة ومدارس مشيدة فتذكرت ما قرأت في التاريخ عن مدينة قرطبة وعرفت أن مساحتها ستة عشر ميلا في الطول، وستة أميال في العرض،وأن فيها مأة ألف وثلاثة عشر ألفاً من القصور والمنازل وثمانون ألفاً وأربع مأة من الدكاكين، وسبع مأة من المساجد وتسع مأة حمام، وأربعة آلاف وثلاث مأة مخزن، وإحصاء المدينة يربوعلى مليون.

ورأيت في المدينة متنزهات فسيحة وحدائق ذات بهجة، وطرقاً وشوارع مبلطة بالحجر، وسرادقات منصوبة يأوى إليها الغرباء والباعة والسابلة في الحر والشمس ورأيت الأسواق مشحونة بالمتاجر والسلع الغالية التي جلبت من بلاد بعيدة، ورأيت رباطات للجوابين والتجار.

ورأيت بجنب مدينة قرطبة مدينة صغيرة ما رأيت أجمل منها على وجه الأرض فقلت لعلها مدينة الزهراء المعروف في التاريخ، وأنا في القرن الرابع، وهذه أيام ملك الأندلس عبد الرحمن الناصر أوابنه حكم الثاني .

من النجوم إلى الأرض

(٣)

وصرفت نظري من الغرب إلى الشرق، فرأيت دولة قوية واسعة قاعدتها نيسابور تحكم خراسان والعراق وإيران، ويتحكم ملوكها في بغداد وينصبون ويعزلون،ويغزو ملكها ألب أرسلان الأفرنج في ديارهم ويأسر ملكهم النصراني ويضرب عليهم الجزية، وقد بلغت هذه الدولة أوجها في عهد ملك شاه ووزيره الفاضل نظام الملك الطوسي فرأيت المدرسة النظامية في بغداد عامرة آهلة يدرس فيها مثل الإمام أبي حامد الغزالي، وتنفق عليها الدولة السلجوقية، ورأيت شقيقتها المدرسة النظامية في نيسابور يدرس فيها مثل إمام الحرمين الجويني فقرت بذلك عيناي، ودعوت للدولة السلجوقية وملكها ووزيرها .

وما لبثت أن رأيت الأفرنج يحملون الصلبان ويغيرون على البلاد الإسلامية، ورأيتهم من كل حدب ينسلون، وقد جن جنونهم حتى سافر ألوف من الأطفال والغلمان من بلاد الأفرنج ليفتحوا القدس، وقد غرق أكثرهم

في الطريق وماتوا، ورأيت ملوك أوربا قد تحالفوا على ذلك وتدفقت من أوربا جنود من الصليبيين حتى أخذوا القدس ووضعوا في المسلمين السيف حتى سالت بدمائهم سكك مدينة القدس وزلقت فيها الخيل، وأخذوا أكثر مدن سورية وفلسطين، وهددوا مصر والعراق وطمعوا في الحجاز وبلغت بهم الجراءة والوقاحة أن حلف منهم أمير علي إهانة الجسد الطاهر الدفين في المدينة عليه ألف ألف سلام .

رأيت كل ذلك والتفت إلى الدولة السلجوقية في نيسابور وقلت أين ملوكها الذين كانوا يغزون الأفرنج ويهزمونهم مرة بعد أخرى فإذا هي قد انقرضت سنة ٥٣٢هـ والتفت إلى المسلمين فرأيتهم في لهوولعب، وفي غزوونهب، بأسهم بينهم شديد .

ورأيت الناس والملوك والوزراء والعلماء في شغل عن الأفرنج فخفت على الإسلام وقلت على الدين السلام .

وإذا بالسلطان نور الدين الزنكي والسلطان صلاح الدين الأيوبي وقد نزلا بالأفرنج وقارعاهم قراعاً شديداً، ولم يزل صلاح الدين يضرب الحديد بالحديد حتى هزم الأفرنج في طبرية شر هزيمة، ودعا بالبرنس الذي حلف على إهانة جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضرب رأسه بيده

قائلا : اليوم أنتصر لمحمد صلى الله عليه وسلم .

وانتزع القدس والمدن الشامية من أيدى النصارى وبيض وجه المسلمين في العالم، وكان فتحاً تضاءلت أمامه الفتوح، وأثنى عليه الملائكة والروح، وقال قائل من المسلمين.

هذا الذي كانت الأيام تنتظر

فليوف لله أقـــوام بما نذروا

ثم انحدرت إلى أسفل فرأيت أن بغداد التي زرتها قبل دقائق قد زحف إليها جراد من التتر فخربوها تخريباً وفجروا من دماء أهلها أنهاراً، ورفعوا من رؤوسهم مناراً، وقتلوا الخليفة المعتصم شر قتلة، ورموا بالكتب النفيسة في ماء دجلة فاسود تارة بسوادها واحمر تارة بدماء أهلها، ولولا أني أعرف مكانها على شاطئ دجلة لأنكرت هيئتها ولم أعد أعرفها .

ورأيت التتر جراداً منتشراً في العالم الإسلامي وقد خربوا المدن الإسلامية الكبرى وعواصم الشرق،نفضوا بناياتها وخربوا مساجدها، وأحرقوا دورها، وذبحوا أهلها، ومزقوا دولة خوارزم شاه في خراسان وقضوا على الخلافة العباسية في العراق، واستشعر المسلمون الخوف والجبن حتى صاروا لا يصدقون بهزيمة التتر، واشتهر على ألسنتهم : إذا قيل لك إن التتر انهزموا فلا تصدق .

وخفت على الإسلام مرة ثانية وقلت لعل هذه آخر ساعة من ساعاته، وإذابي أرى التتر يدخلون في الإسلام أفواجاً، وإذا بفاتح المسلمين يعود مفتوحاً للإسلام فعرفت أن هذا الدين خالد، وأنه يقهر كل قاهر.

ولكن ضعف أمر المسلمين، وساد الجمود والخمود في أنحاء العالم الإسلامي ولم أر شيئاً يقر العين ويشرح الصدر ويبعث الأمل في النفس إلا أني رأيت في آسيا الصغرى جمرة من حياة، وآية من نشاط قد أسس الغازي عثمان خان دولة مستقلة، وكانت لهذه الدولة الفتاة مستقبل عظيم، وقد فتح شبلها الغازي محمد الثاني القسطنطينية عاصمة العالم النصراني سنة ٨٥٨هـ اتخذها قاعدة ملكه، وخلفه ملوك عظام توغلوا في أوربا وقهروا الأمم النصرانية.

هنالك التفت إلى بلاد الأندلس مرة ثانية، فرأيت قرطبة وما جاورها من البلدان الإسلامية قد خرجت من أيدى المسلمين، وإذا المساجد قد عادت كنائس للنصارى، يرن فيها الناقوس، وإذا وجوه عربية ودين نصراني، وحضارة شبه عربية، وحياة جاهلية، فاسترجعت وبكيت.

وسرحت طرفي في جزيرة الأندلس فرأيت غرناطة العربية الإسلامية كأنها جزيرة الإسلام في بحر الكفر

والظلمات، وما لبثت أن غمرها الماء أيضاً واستولى عليها الملك النصراني " فردنند " وملكتها إزابلا ورأيت أبا عبد الله آخر ملوك بني الأحمر يسلمها مفاتيح ملكه ويلقي على غرناطة وقصر الحمراء نظرة الوداع، ويبكي ويرحل إلى مراكش .

وما لبثت أن رأيت البلاد الأندلسية الإسلامية تحول نصرانية، والأمة العربية تجبر على الارتداد، رأيت مساجد تهدم أوتحول كنائس، ومدارس تعطل ومكاتب تحرق وقبوراً تنسف وأجساداً تنبش وأحياءاً يحرقون ويشنقون، وما لبثت البلاد التي حكم فيها الإسلام ثمانية قرون أن أصبحت نصرانية ليس فيها أحد يلفظ بكلمة الإسلام ويؤمن بمحمد عليه السلام.

راعني هذا المنظر وفزعت منه فإذا أنا على فراشي وقلت لعل الله أراد بي خيراً فقد أراني أطوار العالم الإسلامي وألوان المسلمين، وأراني عهد الخلافة الراشدة ثم أراني انحطاط المسلمين، وأراني كيف يسلم الكافر ويخضع القاهر، وكيف يرتد المسلم وتتنصر البلاد الإسلامية بغفلة المسلمين وسوء سيرتهم .

وقمت وقد آليت على نفسي أن أكون جندياً للإسلام مرابطاً على ثغوره، وأن لا تعود حادثة الأندلس في العالم الإسلامي .

رثاء الأندلس

لكل شيئ إذا ما تم نقصان
فلا يغر بطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دول
من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبقى على أحد
ولا يدوم على حال لها شأن
فجائع الدهر أنواع منوعة
وللزمان مسرات وأحزان
وللحوادث سلوان يسهلها
وما لما حل بالإسلام سلوان
دهي الجزيرة أمر لا عزاء لها
أهوى له أحد وانهد ثهلان
أصابها العين في الإسلام فارتزأت
حتى خلت منه أقطار وبلدان
فأسأل بلنسية ما شأن مرسية
وأين شاطبة أم أين جيان
وأين قرطبة دار العلوم فكم
من عالم قد نما فيها له شأن

وأين حمص وما تحويه من نزه

ونهرها العـذب فيـاض وملآن

تبكي الحنيفية البيضاء من أسف

كما بكى لفراق الألف هيمـان

على ديار من الإسلام خـــالية

قد أقفرت ولها بالكفر عمران

حيث المساجد قد صارت كنائس ما

فيهـن إلا نواقيـس وصلبـان

حتى المحاريب تبكي وهي جامدة

حتى المنـابر ترثي وهي عيدان

ماشيـاً مرحـاً يلهيـه موطنه

أ بعد حمص تغر المرء أوطـان

تلك المصيبة أنست مـا تقدمها

وما لها مع طول الدهر نسيان

أعندكم نبأ من أهـــل أندلس

فقد سرى بحديث القوم ركبـان

كم يستغيث بنا المستضعفون وهم

قتلى وأسرى فما يهتز إنسـان

ما ذا التقاطع في الإسلام بينكم

وأنتـم يـا عبـاد الله إخـوان

ألا نفوس أبيات لها همم
أما على الخير أنصار وأعوان
يا من لذلة قوم بعد عزهم
أحال حولهم جور وطغيان
بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهم
واليوم هم في بلاد الكفر عبدان
فلو تراهم حيارى لا دليل لهم
عليهم في ثياب الذل ألوان
ولو رأيت بكاهم عند بيعتهم
لهالك الأمر واستهوتك أحزان
يا رب أم وطفل حيل بينهما
كما تفرق أرواح وأبدان
وطفلة مثل حسن الشمس إذ طلعت
كأنما هي ياقوت ومرجان
يقودها العلج للمكروه مكرهة
والعين باكية والقلب حيران
لمثل هذا يذوب القلب من كمد
إن كان في القلب إسلام وإيمان

(صالح بن شريف الرندي)

ندوة العلماء

صارت قيادة المسلمين في القرون المتأخرة إلى أناس لم يكونوا جامعين بين الدين والدنيا فحدث في الإسلام بدعة فصل الدين والدنيا، فاستبد الملوك بدنياهم وانقطع العلماء بدينهم، وبقي العامة لا قائد لهم ولا رائد، وصار الإسلام كالنصرانية، عرش وكنيسة ولكل رجال، وقيصر والإله ولكل نصيب، ولكن عرش بدون قوائم، وكنيسة بغير حراس.

ولما طال بعد العلماء عن الحياة صاروا أجانب عن الحياة وعن الدنيا وعن السياسة، حتى إذا تدخلوا في شأن من شؤونها كان ذلك حجة لأهل الدنيا على أهل الدين، لعدم خبرة العلماء وقلة مهارتهم في شؤون الحياة وعلوم العصر.

وتشاغل العلماء بعلوم ليس لها دعوة في الدينا ولا في الآخرة، وبمسائل لا تجدى نفعًا، وتشاغلوا في الزمن الأخير بالجدل والشقاق والتكفير والتضليل،وصاروا يجاهدون في غير جهاد، ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً فكم سالت دماء وكم جرت محاكمات لأجل مسائل فقهية في محاكم الكفار، وكم

وقع من إهانات ذلت لها رقبة المسلمين في الهند .

استولت أوربا على الأرض، وكانت كما وصف الله سبحانه وتعالى ﴿ من كل حدب ينسلون ﴾ فهجمت على الإسلام من طريق العقل والنقل والفلسفة والحكمة والتاريخ والأدب، ومن طريق السياسة وباسم الحضارة والثقافة، وعجزت الآلات التي حارب بها أسلافنا علوم اليونان عن مقاومة العلوم الغربية، فاقتضى الحال أن يجدد علماء الإسلام آلات الدفاع عن الإسلام، ويحدثوا آلات أخرى للهجوم على العدو.

هذا، والمسلمون في الهند بين طائفتين، طائفة قد آمنت بالعلوم الغربية بالغيب وآمنت بعصمة الغربيين في علومهم وبسيادتهم وإمامتهم في كل شيء، ودعت إلى قبول نظامهم في التعليم على علاته، وطائفة قد آمنت بعصمة العلماء المتأخرين في منهاج درسهم وترتيبهم للكتب، لا يرون عنه بدلاً ولا يجدون عنه محيصاً، ويرون العدول عنه في شيء ضرباً من التحريف ونوعاً من البدع، فكاد الدين وكاد العلم يضيع بين جاحد وجامد .

أدرك هذا الخطر رجال من أهل الدين المتين والعلم الراسخ والنظر الثاقب، في مقدمتهم العالم الكبير والشيخ

الصالح مولانا السيد محمد علي المونكيري رحمة الله عليه، وكثير من أصحاب الشيخ الكبير مولانا فضل رحمن الكنج مرادآبادي قدس الله سره، وتلاميذ الأستاذ الكبير مولانا لطف الله العليكرهي،ينتهي نسبهم العلمي إلى بيت الشيخ ولي الله الدهلوي، واجتمعوا وشاوروا في الأمر، وكانوا قد اجتمعوا في حفلة مدرسة فيض عام في كانفور التي أسسها المفتى عنايت أحمد (م ١٢٧٩هـ) أستاذ الشيخ لطف الله .

اجتمعوا في هذه الحفلة سنة ١٣١٠هـ وبحثوا في مسائل التعليم الديني ومستقبل المدارس العربية وشؤون المسلمين الاجتماعية والخلقية، وصحت عزيمتهم على تأسيس جمعية دينية علمية تعنى بمسألة التعليم الديني وإصلاح المسلمين الاجتماعي والخلقي، والجمع بين طبقات المسلمين عامة وطبقات العلماء وأحزابهم خاصة .

أسس هؤلاء العلماء - وهم نخبة علماء الهند - جمعية باسم " ندوة العلماء " وعقدوا حفلتها الأولى في كانفور سنة ١٣١١هـ تحت رئاسة الأستاذ الأكبر الشيخ لطف الله العليكرهي، وأرسلوا دعوتهم إلى جمع كلمة العلماء ورفع الشقاق والنزاع من بينهم، وإصلاح المدارس القديمة والتغيير اللائق في منهاج المدارس .

اجتهد أعضاء الندوة في ذلك واجتمعوا وتشاوروا فكاتبوا وراسلوا وخطبوا وكتبوا في هذا الموضوع، ولكن علموا بعد الاختبار أن ذلك لا يتم إلا إذا أسسوا مدرسة خاصة تكون مثلا عملياً للمدارس الأخرى.

فأسسوا في لكناؤ عاصمة الولايات المتحدة في الهند - على دعوة السري المخلص الشيخ أطهر علي الكاكوروي (م١٣٢٦هـ) دفين البقيع - مدرسة دينية عربية هي دار العلوم التابعة لندوة العلماء، وكان ذلك سنة ١٣١٢هـ تولى إدارتها والإشراف على شؤون مدرستها رجال يمتازون بمتانة في الدين مع تسامح في الخلافيات والفروع، ورسوخ في علوم الدين مع اطلاع واسع على شؤون العصر، ومحافظة على الشرع والتقوى مع حب الجمع بين طبقات الأمة، وهم من بيوتات علم ودين. فكان مولانا السيد محمد علي المونكيري (م ١٣٤٦هـ) خليفة الشيخ الكبير مولانا فضل رحمن الكنج مرادآبادي أول مدير لندوة العلماء وخلفه مولانا مسيح الزمان الشاه جهان بوري (م١٣٣١هـ) أستاذ سمونظام حيدرآباد السابق، وخلفه مولانا خليل الرحمن السهارنبوري (م ١٣٥٥هـ) ابن المحدث الكبير مولانا أحمد علي السهارنبوري صاحب حاشية البخاري وخلفه مولانا

السيد عبد الحي الحسنى (م ١٣٤٢هـ) صاحب نزهة الخواطر والمؤلفات العربية الجليلة من بيت السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، وخلفه مولانا السيد علي حسن خان(م١٣٥٥هـ) نجل الأمير المؤلف الكبير السيد صديق حسن خان ملك بهوفال، وخلفه الأستاذ الدكتور السيد عبد العلي الحسنى نجل مولانا السيد عبد الحي مدير ندوة العلماء الأسبق (وخلفه سماحة الشيخ العلامة السيد أبوالحسن على الحسني الندوي رحمه الله تعالى ، صاحب مؤلفات كثيرة بارعة وخدمات دينية جليلة)وكان الإشراف على شؤونها التعليمية إلى الأستاذ الكبير والمؤرخ الشهير الشيخ شبلي النعماني (م ١٣٣٢هـ) ثم إلى تلميذه النابغ الأستاذ السيد سليمان الندوي .

تمتعت الندوة بحماية كبار الصالحين، ورجال العلم والدين من أول يومها، كمولانا ظهور الإسلام الفتح بوري، ومولانا نور محمد البنجابي ومولانا تجمل حسين البهاري من كبار أصحاب الشيخ سليمان البهلواروي، والسري الفاضل مولانا حبيب الرحمن الشرواني رئيس الشؤون الدينية في إمارة حيدرآباد سابقاً من أقدم أعضاء الندوة ومن كبار حماتها، والشيخ رحيم بخش وصي إمارة

بهاول بور سابقاً، والعلامة عبد الحق الحقاني صاحب التفسير المشهور، والشيخ سليمان المنصورفوري، والمنشئ احتشام علي الكاكوروي وغيرهم .

وتولى التدريس في دارالعلوم علماء كبار من مشاهير علماء الهند وخارجها، كالشيخ محمد فاروق الجريا كوتي والشيخ عبد الله التونكي والشيخ محمد طيب المكي والشيخ شير علي الحيدرآبادي والشيخ محمد بن الحسين اليماني والشيخ أمير علي اللكهنوي، والشيخ حفيظ الله البندولي، والشيخ شبلى الأعظمي، والشيخ حيدر حسن خان التونكي، والشيخ تقي الدين الهلالي المراكشي .

تأسست ندوة العلماء على مبدأ التغيير والإصلاح في نظام التعليم الديني وفي منهاج الدرس العربي، فحذفت وزادت وغيرت وأصلحت في منهاج التعليم .

حذفت المقدار الزائد من كتب المنطق والفلسفة اليونانية التي ضعفت الحاجة إليها في هذا العصر، وأعطت القرآن حقه من العناية فقررت درس متنه الشريف حرفاً حرفاً ونحواً وأدباً واجتماعاً وفقهاً وكلاماً، هذا ما عدا التفاسير المقررة في الصفوف العالية، وألزمت تدريس القرآن والحديث بالتدريج في سنيها التعليمية .

زادت مقدار دراسة اللغة العربية وآدابها، لأن اللغة العربية والأدب العربي مفتاح كنوز الكتاب والسنة والرابطة الأدبية في الشعوب الإسلامية، ووجهت عنايتها إلى تعليم اللغة العربية كلغة من لغات البشر وكلغة حية يكتب بها ويخطب، لا كلغة أثرية عتيقة ميتة، وألفت لذلك كتباً تساعد على ذلك، وقد أقر الناس بفضل الندوة في هذه الناحية.

قررت تدريس اللغة الإنكليزية وبعض العلوم العصرية كالجغرافية والتاريخ والعلوم الرياضية وعلم السياسة وعلم الاقتصاد، ليطلع العلماء على مقتضيات العصر، ويتسلحوا بالأسلحة الجديدة للدفاع عن الدين .

أنست ما كان بين أهل المذاهب والطوائف الفقهية كالحنفية والشافعية وأهل الحديث من المشاجرات ودواعي العصبية، ونجحت في ذلك نجاحاً تاماً فلا تشم في دارها رائحة الخلاف وا لحقد المذهبي، وترى الطلبة من كل مذهب إخواناً متقابلين في قاعة درسهم ودار إقامتهم جنباً لجنب .

مبدء الندوة وشعارها أن تخرج من مدرستها رجالاً مبشرين بالدين القديم لأهل العصر الجديد، شارحين الشريعة الإسلامية بلغة يفهمها أهل العصر وبأسلوب

يستهوى القلوب أمة وسطاً بين الجامدين والجاحدين.

وقد أنجبت في مدة قليلة رجالاً هم خير مثل للعالم المسلم العصري الذين قد قامت بهم حجة العلوم الإسلامية على أهل العصر الجديد، ورفعوا رأس علماء الدين عالياً بين طبقات المتعلمين، ولهم آثار جميلة خالدة في الأدب الإسلامي وعلم التوحيد لأهل العصر الجديد، والسيرة النبوية والتاريخ ككتاب سيرة النبى في ست مجلدات كبار وهي موسوعة إسلامية وأكبر كتاب ألف في السيرة النبوية ومهمات الدين في هذا العصر للشيخ سليمان الندوي، وكتب في تراجم الصحابة وسيرهم للمتخرجين من دار العلوم ورسالة قيمة في الدين والعلوم العقلية للأستاذ عبد الباري الندوي، إلى غير ذلك من الكتب والرسائل .

وقد أنشأ المتخرجون من الندوة جمعية دار المصنفين في أعظم كره وهي من المؤسسات العلمية الكبيرة في الهند تصدر مجلة علمية راقية شهرية باسم " معارف " .

ولدار العلوم بناية عظيمة على شاطئ نهر كومتى في مدينة لكناؤ، ومكتبة كبيرة تحتوي على أكثر من مأة ألف كتاب أكثرها غير مكرر و١٨٠٠ من الكتب الخطية النادرة ودور لإقامة الطلبة ومسجد جميل .

على لسان الندوة

عفى ديار علوم الدين قاطبة
نسج الدبور وأرياح جرت نقما
ياللمدارس أضحت وهي دارسة
يا للمكاتب تبكي العلم والعلما
أما سمعتم بكاها وهي صارخة
صراخ ثكلى على مولودها اخترما
وارحمتاه لأرض الدين ينقصها
ريب المنون ممدا سيلها العرما
وارحمتاه لدين قل عصبته
من كل حام حماه راسخ قدما
وارحمتاه لدين قل ناديه
وللرجال وواسيفاه وا قلما
يا للبقية صونوا الدين تنتصروا
يصونكم ويرد المجد والحشما
إني محذركم من وقع واقعة
يمسى الوليد لديها هيبة هرما

ألا خـــذوا حـــذركم في كل آونة
فمـا اتقى النـار إلا كيـس حزمـا
ووثقـوا عــروة الإسلام أوهنهـــا
تفـرق فيكـم قـد حـل مخترمـا
هذي اختلافاتكم كم شخصت بكم
سفهت عرب الإسلام والعجما
أليس أكمـــل هذا الـــدين ربكم
أمـا أتم عليكـم فضلـه النعمـــا
يا ليت شعري ففيماذا اختصامكم
مـا الـذي بعـده ترضونـه حكمـا
كم ذي الفتاوى وكم تكفير إخوتكم
كـم ذا التشـاؤم ووا ذلاه واندمـا
هذا الـــذي فتر الإسلام نهضته
هذا الذي قصر الأعزام والهمما
الله الله كونـــوا أصدقـاء كما
كانت معاشرة الأسلاف والقدما
الله الله إن كنتـــم لهم خلفـــاً
تـابعوهم مع الإحسـان لا جرمـا

وثقــفوا أود الأحـــداث تربية

وعلموهـم علـوم الديـن والحكمـا

ضيعتمـــوهم إذا الأقوام غيركم

حازوا الفنون وفاقوا في النهى أمما

غدا يسئــــل كل عن رعيتـــــه

فما جوابكم يا معشر العلمـاء ؟!

(أحمد بن عبدالقادر الكوكني م١٣٢٠هـ)

فهرست الجزء الثالث
من القراءة الراشدة

الموضوعات بحسب الأغراض

الدروس الدينية والخلقية

دروس من التاريخ الإسلامي

تلخيص التاريخ الإسلامى

تلخيص التاريخ الهندى الإسلامى

رجال التاريخ الإسلامى

المعاهد الدينية

دروس الأشياء

شعر (حكمة وملح)

الأدب العربي

بين عرض ونقد

طبعة جديدة مزيدة ومنقحة

مطبوعة على الكمبيوتر بطباعة أنيقة حسن المظهر والمخبر

الصفحات:٢٤٣ في المقطع المتوسط

وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام كبيرة:

حقيقة الأدب ☆ التحليل ☆ النماذج

ألفه فضيلة الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي

مدير دار العلوم ندوة العلماء لكناؤ

وقدّم له: سماحة العلامة الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي

الأمين العام لندوة العلماء

وهو أول كتاب ظهر في موضوع العرض والنقد لطلبة اللغة العربية والأدب العربي في شبه القارة الهندية

كتاب وسط بين العرض والنقد والجمع والتاريخ والحلقة الأخيرة في سلسلة تدريس الأدب العربي، والحلقة الأولى في تدريس النقد الأدبي

يطلب الكتاب من

مؤسسة الصحافة والنشر

ص-ب-٩٣ ندوة العلماء الكناؤ (الهند)